Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

مجلة النور للدراسات الإنسانية

https://jnh.alnoor.edu.iq/

فرعون موسى بين الحقيقة والأسطورة دراسة في الكتب الدينية والحقائق الأثرية وتوظيفها في طرائق تدريس التاريخ

ليث خليل خلف السلماني

كلية التربية للبنات ، الجامعة العراقية ، بغداد، العراق

Article Information

Article history:
Received:11 June 2025
Revised: 12 July 2025
Accepted:24 July 2025

***Keywords*:**
Pharaoh of Moses
Hyksos
Prophet Joseph
Torah, Holy Qur'an
Ancient Egypt
Israelites.

Corresponding Author
Layth Khaleel Khalaf al-Salmani
layth.khalafalsalmani@aliraqia.edu.iq

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة شخصية فرعون موسى عليه السلام بين الحقيقة التاريخية والأسطورة، من خلال تحليل النصوص الدينية، ولا سيما القرآن الكريم، ومقارنتها بالمصادر التوراتية والمعطيات الأثرية. ركّز البحث على تحديد هوية فرعون الذي عاصر موسى، مع التمييز بين فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج، وذلك عبر ربط الأحداث التاريخية بزمن دخول بني إسرائيل إلى مصر في عصر الهكسوس، وتتبع تطور الألقاب الملكية في مصر القديمة.

خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم قدّم وصفًا دقيقًا ينسجم مع الحقائق التاريخية، إذ استخدم لقب "الملك" للحاكم الذي عاصر يوسف عليه السلام، و*"فرعون"* للحاكم الذي واجه موسى، مما يدل على دقة لغوية وتاريخية تتفوق على الروايات التوراتية. كما رجّح البحث أن كلمة "فرعون" هي اسم علم لحاكم بعينه وليست لقبًا عامًا، مستندًا إلى الأدلة اللغوية والقرآنية والأثرية.

وتؤكد النتائج أن تحديد هوية فرعون موسى يتطلب الجمع بين النصوص الدينية والتحليل الأثري، مع اعتبار القرآن الكريم مصدرًا موثوقًا في تصحيح الروايات التاريخية المحرفة.

الكلمات المفتاحية: فرعون موسى، الهكسوس، يوسف عليه السلام، التوراة، القرآن الكريم، مصر القديمة، بني إسرائيل.

DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13 ©Authors, 2025, College of Education, Alnoor University.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Pharaoh of Moses: Between Truth and Legend, A Study in Religious Texts and Archaeological Facts and its use in History Teaching Methods

L K K al-Salmani

College of Education for Girls, University of Iraq, Baghdad, Iraq

Abstract

This research explores the historical identity of Pharaoh of Moses (peace be upon him), analyzing his figure between historical reality and myth through a comparative study of religious texts—particularly the Holy Qur'an—alongside the Torah and archaeological evidence. The study focuses on distinguishing between the Pharaoh of Oppression and the Pharaoh of the Exodus by linking historical events to the period when the Israelites entered Egypt during the Hyksos era and tracing the evolution of royal titles in ancient Egypt.

The findings reveal that the Qur'an presents a highly accurate historical depiction, using the title "King" for the ruler contemporary with Prophet Joseph (peace be upon him) and "Pharaoh" for the ruler who confronted Moses. This demonstrates linguistic and historical precision that surpasses the accounts found in the Torah. Furthermore, the study concludes that the term "Pharaoh" is most likely a proper name for a specific ruler rather than a general royal title, supported by linguistic, Qur'anic, and archaeological evidence.

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

This research affirms that determining the true identity of Pharaoh requires integrating religious texts with archaeological analysis, positioning the Qur'an as a reliable source for correcting distorted historical narratives.

المقدمة

يحيط الغموض والغموض التاريخي بشخصية فرعون موسى، إذ تداخلت الروايات المتعددة بين الحقيقة والأسطورة والخرافة. وقد شغلت هذه الشخصية اهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين، كلٌ منهم قدّم رؤيته استنادًا إلى نصوص دينية كالتوراة أو القرآن الكريم، أو من خلال مصادر تاريخية وأثرية، بل إن بعضهم حاول الجمع بين الروايات الدينية والمعطيات التاريخية الأثرية .

يتناول هذا البحث سيرة نبي الله موسى عليه السلام، منذ نشأته في مصر، مرورًا بفرعون الاضطهاد، وصولًا إلى فرعون الخروج، في محاولة للتفريق بين الشخصيتين ودراسة طبيعة العلاقة بين موسى عليه السلام وكليهما. وقد وقع العديد من الباحثين في خطأ شائع يتمثل في الخلط بين فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج، وهو ما يسعى هذا البحث إلى توضيحه استنادًا إلى الأدلة والنصوص التاريخية والدينية.

تبدأ الدراسة من لحظة دخول بني إسرائيل إلى مصر في عهد نبي الله يوسف عليه السلام، ثم تسلط الضوء على ولادة موسى عليه السلام، وما تلا ذلك من أحداث؛ من إلقاء أمه له في النهر، ثم وصوله إلى قصر فرعون، وعودته إلى أمه، ونشأته في بلاط الملك، إلى خروجه من المدينة بعد قتله لأحد المصريين، وورود إلى مدين، ثم عودته إلى مصر بعد تكليفه بالرسالة الإلهية. وتتناول الدراسة دعوة موسى لفرعون إلى الإيمان بالله تعالى، ومساندة الله له بالآيات والمعجزات، ووقوف هارون عليه السلام إلى جانبه، إلى أن بلغ الأمر ذروته بمطاردة فرعون وجنوده لموسى وأتباعه، ثم معجزة شق البحر وغرق فرعون، ونجاة بني إسرائيل، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: 50) (1)

استنادًا إلى ما تقدم، قُسم البحث على أربعة مباحث رئيسة:

يتناول المبحث الأول العلاقة بين الأحداث التاريخية لتحديد هوية فرعون موسى، وينقسم على مطلبين، أولهما دخول بني إسرائيل إلى مصر، والمطلب الثاني يتناول حقيقة اسم فرعون موسى استنادًا إلى المعطيات الأثرية.

يناقش المبحث الثاني السمات العامة لشخصيتي موسى وفرعون، مقسمًا على مطلبين: الأول عن موسى في ضوء القرآن والتوراة، والثاني عن فرعون من خلال النصوص ذاتها..

أما المبحث الثالث، فيستعرض قصة خروج موسى من مصر، مقسمًا على أربعة مطالب: الاضطهاد وأسبابه، الخروج وأسبابه، مطاردة المصريين لبني إسرائيل، وأخيرًا شخصيات تاريخية حملت اسم "فرعون".

ويختتم البحث بـ المبحث الرابع، الذي يستعرض آراء العلماء في تحديد هوية فرعونَي الاضطهاد والخروج، ويشمل ثلاثة مطالب تتعلق باختلاف العلماء حول زمن الخروج، و"أنشودة النصر"، وشخصية فرعون الواردة في القرآن الكريم..

المبحث الأول : الربط بين الاحداث التاريخية للوصول الى حقيقة فرعون موسى

المطلب الاول: عصر دخول الإسرائيليين مصر

اختلف المؤرخون في تحديد الحقبة الزمنية التي دخل فيها بنو إسرائيل إلى مصر، ويُعزى هذا الخلاف إلى أن التوراة، وسائر الكتب الدينية الأخرى، لم تحدد بشكل دقيق زمن دخولهم ولا اسم الملك الذي عاصر نبي الله يوسف عليه السلام. فمثلًا، لا تذكر التوراة اسم الملك الذي كان في زمن يوسف، كما لا توجد إشارات صريحة في التاريخ المصري القديم لوجود "إسرائيل" ككيان قبل عهد الملك مرنبتاح (1214–1224 ق.م). من هنا نشأت آراء متعددة حول الحقبة الزمنية التي دخل فيها بنو إسرائيل إلى مصر، أبرزها تلك التي ترجّح أن دخولهم كان في زمن الهكسوس (1725–1575 ق.م)، وتدعم هذا الطرح عدة حجج:

الرأي الأول: ذهب بعض الباحثين إلى أن دخول بني إسرائيل إلى مصر قد تم في عهد الهكسوس، وهم ملوك أجانب سيطروا على مصر لفترة من الزمن. ووفقًا لهذا الرأي، فقد أقام الإسرائيليون في مصر نحو أربعة قرون حتى تم طردهم منها في عهد رمسيس الثاني (بيومي، 1999، ج1، ص 229)

الرأي الثاني: تشير التوراة في سفر التكوين إلى أن يوسف كان يركب في "عربة فرعون الثانية"، وهذا يشير إلى تقليد ارتبط بعصر الهكسوس، إذ كان الملوك الأجانب أول من أدخل العربة الحربية إلى مصر، حيث استُخدمت العربة الأولى من قِبل الملك، والثانية من قبل نائبه أو وزيره الأول.

الرأي الثالث: يرى الباحث "حبيب سعيد" أن دخول بني إسرائيل إلى مصر تم في ظل حكم الهكسوس، معتبرًا أن هذا العصر المضطرب سياسيًا سمح للغرباء الوافدين كالعبرانيين بأن يُستقبلوا بترحاب، خاصة أن أصول الهكسوس يُعتقد أنها سامية، ومن ثم فقد وجد يوسف العبراني الفرصة للوصول إلى مكانة رفيعة في البلاط، وهو ما مهّد لاستقبال أبيه وإخوته ومنحهم الإقامة في أرض "جوشن."

الرأي الرابع: جاء في سفر الخروج أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر بلغت 430 سنة. وإذا كان الخروج قد وقع بعد عام 1300 ق.م، فإن ذلك يعيد دخولهم إلى مصر إلى نحو 1700 ق.م، وهي فترة تتطابق تقريبًا مع فترة حكم الهكسوس. كما أن الإشارة إلى أن قصر الملك كان في "جوشن" تعزز هذا الرأي، إذ لم تكن جوشن مقرًا ملكيًا إلا في عصر الهكسوس ثم لاحقًا في عصر الرعامسة، وكانت العاصمتان آنذاك "أواريس" ثم "بر-رعمسيس". وبما أن عصر يوسف لا يمكن أن يكون في عهد الرعامسة، فهو يُرجّح أن يكون في زمن الهكسوس (بيومي، 1999، ج1، ص 219–220).

الرأي الخامس: تشير التوراة إلى أن بني إسرائيل عاشوا في رخاء وطمأنينة في مصر خلال حياة يوسف، ثم تدهورت أوضاعهم لاحقًا بعد أن تولى الحكم فرعون آخر لا يعرف يوسف، فبدأ اضطهادهم (بيومي، 1999، ج1، ص 132).

من خلال استعراض الآراء المختلفة حول زمن دخول بني إسرائيل إلى مصر، يبدو أن الرأي الراجح والأكثر اتساقًا مع الشواهد الأثرية والمعطيات الدينية هو الرأي القائل بأن دخولهم تم خلال فترة حكم الهكسوس. ويُعزّز هذا الاتجاه أن الهكسوس كانوا من أصول سامية، وهو ما يُفسّر حفاوة استقبال يوسف عليه السلام وتمكينه في بلاط الحكم، ثم استقدامه لأهله للإقامة في أرض جوشن. كما أن غياب ذكر اسم الملك الذي عاصر يوسف في التوراة، وورود الإشارة إلى العربة الثانية، كلها مؤشرات تدل على أن ذلك تم في عهد الهكسوس، لا في عهد الفراعنة الوطنيين من أبناء وادي النيل.

لذا، فإن الباحث يرجّح أن بني إسرائيل دخلوا مصر في فترة سياسية غير مستقرة، تزامنت مع حكم الهكسوس، وهو ما ينسجم مع النصوص الدينية والتاريخية معًا.

المطلب الثاني: الحقيقة التاريخية لفرعون موسى بين الاسم والصفة

تميّز القرآن الكريم في سرده لقصة يوسف عليه السلام باستخدام لقب "الملك" عند الإشارة إلى حاكم مصر في تلك الحقبة، بينما استخدم لقب "فرعون" عند الحديث عن الحاكم الذي عاصر موسى عليه السلام. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن لقب "فرعون" لم يكن يُستخدم للدلالة على الحاكم المصري إلا منذ عهد إخناتون (بيومي، 1999، ج1: ص 231) ، مما يشير إلى دقة التعبير القرآني وإعجازه في التفريق بين العصور الحاكمة.

ويُفهم من هذا السياق أن لقب "فرعون" أصبح يُستخدم بصورة رسمية منذ الأسرة الثامنة عشرة (1575–1308 ق.م)، حيث اكتسب هذا اللقب مدلولًا تعظيميًا خاصًا بالحكام المصريين. وفي الأسرة التاسعة عشرة (1308–1194 ق.م) تكرّس استعمال "فرعون" كمصطلح مرادف للقب "جلالته"، مما يشير إلى تكريسه الرسمي بوصفه عنوانا ملكيا.

ومن ثم، يتضح أن القرآن الكريم ميّز بين حاكم مصر في عهد يوسف، الذي كان على الأرجح من الهكسوس الأجانب، فاستعمل له لقب "ملك"، وبين حاكم مصر الوطني في عهد موسى، الذي استعمل له

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

لقب "فرعون"، وهو ما يعكس دقة اصطلاحية تتجاوز ما ورد في التوراة.

وعلى النقيض من ذلك، لم تُراعِ التوراة هذا التمايز الزمني الدقيق، حيث أطلقت لقب "فرعون" على ملوك مصر قبل الأسرة الثامنة عشرة، ولقب "الملك" بعد تلك الأسرة، الأمر الذي يُخالف الحقائق التاريخية. ويرى الأستاذ حبيب سعيد أن هذه الصياغة هي عادة شائعة في التوراة حيث تُقرَن عبارة "ملك مصر" بلقب "فرعون" أو اسمه، كما ورد في سفر الملوك الأول. (3،2)

تاريخيًا، فإن كلمة "فرعون" المشتقة من الصيغة المصرية "بر-عو" أو "بر-عا" كانت في البداية تُشير إلى "البيت العالي" أو القصر الملكي، وليس إلى الحاكم نفسه. غير أن هذا الاصطلاح تطوّر خلال حكم تحتمس الثالث (1490–1436 ق.م) ليُطلق على شخص الملك نفسه (بيومي، 1999، ج1: ص 230–232).

وفي سياق الجدل حول ماهية "فرعون"، يعرض الدكتور سعيد ثابت وجهة نظر مغايرة لما هو شائع بين الأثريين، حيث يرى أن "فرعون" ليس مجرد لقب أو صفة بل هو اسم علم لملك بعينه، وهو المقصود في النص القرآني. ويرى أن تفسير الكلمة بأنها مشتقة من "بر-عا" ويُقصد بها القصر أو الإدارة العليا، يشبه في رمزيته ما يُطلق في العصر الحديث على "البيت الأبيض" للدلالة على رئيس الولايات المتحدة. غير أن الدكتور ثابت يستنكر هذا التفسير انطلاقًا من المعاني التي وردت في النص القرآني، والتي تصف فرعون بالجبروت والطغيان، وتساءل: هل من المنطقي أن ينادي الله هذا الطاغية بلقب تفخيمي لا يتناسب مع صفاته؟ (أبو العينين، 1997: ص 179، 120). (4, Page 120,179)

ولذلك يرى ثابت أن "فرعون" اسم لشخص محدد، وليس صفة وظيفية عامة للحاكم المصري. ويستشهد بالآية القرآنية: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: 24]، ليؤكد أن الاسم يُستخدم هنا للإشارة إلى شخص بعينه، لا إلى منصب الحاكم.

ويُلاحظ أن الكلمة لم ترد في النصوص القرآنية بصيغة الجمع "فراعنة"، مما يرجّح كونها اسمًا علمًا، إذ أن أسماء الأعلام لا تُجمع. كما أن استخدام "فرعون" جاء مصحوبًا بياء النداء الصريحة، كقوله تعالى: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 104]، بينما تُستخدم صيغ النداء المعظمة مع الألقاب مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: 88]، وهو ما يُعزز اعتبار "فرعون" اسم علم.

وتتوالى الشواهد من النصوص القرآنية على أن "فرعون" اسم شخص، مثل قول فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101]، ورد موسى عليه: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102]، وهو حوار بين شخصين بأسمائهما المجردة، لا بألقابهما.

ومن الدلالات اللغوية التي تؤكد أن "فرعون" اسم علم، أن الاسم جاء في القرآن الكريم بين علمين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: 23]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101]. إن وجود اسم فرعون بين علمين (موسى في أول الكلام وآخره) يدعم لغويًا أن "فرعون" هو علم أيضًا، وليس لقبًا.

ومن الشواهد الأخرى ما جاء مصحوبًا بياء النداء، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 104]. فلو كان "فرعون" لقبًا، لكان التعبير القرآني بصيغة التفخيم: "يا أيها الفرعون"، على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: 88]، مما يؤكد أن "فرعون" اسم لشخص لا لقبًا وظيفيًا.

أما من الناحية التاريخية، فالمراجع الأثرية تؤكد أن لقب "فرعون" لم يكن مستخدمًا قبل الأسرة الثامنة عشرة. فلم يظهر هذا المصطلح إلا بعد القضاء على حكم الهكسوس وتكوين الأسرة الثامنة عشرة بقيادة أحمس. وهو ما يعني أن اللقب لم يكن معروفًا قبل تلك الفترة، ولم يُستخدم في سجلات أو نقوش ما قبل هذه الأسرة، مما يعزز الرأي القائل بأن "فرعون" لم يكن لقبًا عامًا لحكام مصر، وإنما أُطلق على شخص معين في وقت محدد (أبو العينين، 1997: ص 120. 4) Page 120, 179_)

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن مصطلح "فرعون" – رغم تأصيله الشائع من "بر-عا" – لا ينسجم مع التسلسل الطبيعي لألقاب ملوك وادي النيل. فمجرد استخدامه خارج النسق المتناغم لأسماء وألقاب الملوك المصريين يثير التساؤل، بل يظهر نشازًا. ولذلك فإن العودة إلى القرآن الكريم، بوصفه مرجعية دينية وتاريخية محفوظة، يُمكن أن توجهنا إلى اعتبار "فرعون" اسم علم، وهو ما تؤكده أيضًا شواهد علم الآثار.

ومن القرائن القوية في النص القرآني، أن "فرعون" لم يُذكر بصيغة الجمع "فراعنة" مطلقًا، على خلاف الألقاب الأخرى التي تقبل الجمع مثل "الملوك"، و"الأمراء"، و"الأباطرة". كما أن ورود الاسم دائمًا بصيغة النكرة (دون "أل" التعريف)، يدعم اعتباره اسمًا لا لقبًا، إذ لو كان لقبًا ملكيًا لجاء معرفًا بالتعظيم، كما هو الحال في الألقاب الفارسية والرومانية (كسرى، قيصر).

ومن الدلالات المهمة التي استند إليها المؤيدون لكون "فرعون" اسمًا لا لقبًا، ما ورد في القرآن الكريم من ارتباط الاسم بكلمة "آل" كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 141]، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: 54]، وقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: 50]. فكلمة "آل" لا تُنسب إلى اللقب، بل تُنسب إلى الأشخاص ذوي الاسم العلمي كما في "آل إبراهيم"، "آل يعقوب"، "آل لوط"، مما يعزز الرأي بأن "فرعون" اسم شخص لا صفة.

كما أن المؤرخين والمفسرين الذين حاولوا تفسير استخدام لقب "فرعون" بوصفه مشتقًا من "بر-عا"، يشيرون إلى أنه لا يحمل في أصله أي دلالة على شخص الحاكم، بل يرمز إلى القصر الملكي فحسب، أي مكان الحكم وليس صاحبه. لكن اعتماد هذا التفسير – كما يشير بعض الباحثين – كان في الأساس تبريريًا، نتيجة لغياب أي اسم مصري مباشر يوافق اسم "فرعون" المذكور في النصوص المقدسة، ولذلك تم تبنيه اصطلاحًا دون تحقيق دقيق (عزت، 2010: ص 13–14) (5; Page 13,14)

وقد طُرحت فرضية أخرى مفادها أن التعبير بـ"فرعون" يشبه ما يقال اليوم مثل "البيت الأبيض" أو "قصر الإليزيه" للإشارة إلى رؤساء دول، ولكن هذا التفسير – كما يعارضه الدكتور عزت – يُوحي بتفخيم الشخصية الملكية، وهو ما يتناقض مع أسلوب الخطاب القرآني الذي وصف هذا الملك بأقبح الصفات، مثل: الطغيان، الفساد، الاستكبار، وتقتيل الأبناء.

ويتابع الدكتور عزت حُجَجه من القرآن الكريم، مشيرًا إلى أن النص القرآني لم يستخدم لقب "فرعون" إلا مجردًا، ودون أي قرائن تعظيمية لغوية. ولو كان هذا لقبًا، لكان من المنطقي أن يأتي مرتبطًا باسم مثل: "الملك فرعون"، كما جاء في التوراة: "فرعون ملك مصر"، وهذا لا نجده في القرآن الكريم مطلقًا.

بل ويشير الباحثون إلى أن اسم "فرعون" جاء في أحد نصوص المؤرخ هيرودوت بوصفه اسم علم مستقل، حيث يقول: "وحين مات سيزوستريس خلفه ابنه فرعون، وهو أمير لم تكن له مغامرات عسكرية، وقد خلف فرعون أحد مواطني ممفيس"، مما يعزز أن الاسم كان متداولًا لشخص حقيقي لا كلقب سياسي عام.

أما التوراة، فقد ورد فيها النص التالي: "ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يُطلق بني إسرائيل" (سفر الخروج 11:6)(3: 11,6) ، وكذلك: "وشدَّد الرب قلب فرعون ملك مصر"، مما يُظهر استخدام الاسم مع صفته. وهذا الربط بين الاسم والصفة في السياق التوراتي يختلف عن السياق القرآني الذي استخدم "فرعون" بوصفه اسما مستقلا، مما يعكس اختلافًا بنيويًا في فهم الشخصية.

يرى الباحث أن الأدلة اللغوية، والنصوص القرآنية، والحقائق التاريخية والأثرية جميعها تدعم الرأي القائل بأن "فرعون" هو اسم علم لملك محدد عاصر نبي الله موسى عليه السلام، وليس مجرد لقب سياسي كان يُطلق على ملوك مصر. ويؤكد أن هذا الفهم يتسق مع معجزة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، التي فرّقت بدقة بين "الملك" في زمن يوسف، و"فرعون" في زمن موسى، مما يعكس سبقًا معرفيًا على الروايات التوراتية، وبعض التفسيرات الغربية المتأثرة بها.

المبحث الثاني: ملامح عامة عن شخصية موسى وفرعون

المطلب الأول: شخصية موسى (ʊ) بين القرآن والتوراة

يُظهر التناول المقارن لشخصية النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة اختلافًا جوهريًا في طبيعة الصورة التي تقدمها كل من

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

هاتين المرجعيتين الدينية والتاريخية. ففي حين يقدمه القرآن الكريم بوصفه نبيًا رسولًا، من أولي العزم، قويًّا، شجاعًا، صادقًا في نبوّته، مخلصًا في دعوته، نجد أن التوراة – وفق ما هو متوفر بين أيدينا من نصوصها الحالية – تُقدّم صورة متذبذبة ومتضاربة، تقترب من شخصية بشرية مترددة، مُتَّهمة بالخيانة، ويعتريها الضعف والخوف والانفعال المفرط، بل وتستحق – وفق نصوصها – غضب الإله.

أولًا: شخصية موسى في التوراة

يتجلى في التوراة، لا سيما في أسفار الخروج والعدد والتثنية، تباينٌ واضح في تصوير شخصية موسى عليه السلام؛ إذ تنسب إليه التوراة في بعض المواضع الخيانة وعدم الإيمان، بل وتُظهره مترددًا في قبول الرسالة، عاتبًا على الله، وموضعًا لغضبه. من أبرز هذه التصورات ما يلي:

.1موسى يخون الرب ولا يؤمن به

تُسجّل التوراة على لسان الله أن موسى وأخاه هارون قد خانا الرب، وكان جزاؤهما أن حرمت عليهما أرض الميعاد. جاء في سفر التثنية: "لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل" (الكتاب المقدس، التوراة، التثنية: 51/32).

.2موسى يعاتب الرب ويستحق غضبه

جاء في سفر الخروج أن موسى خاطب الله بلغة احتجاجية صريحة على ما حلّ بقومه، فيقول:

"يا سيد، لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ ولماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب، وأنت لم تخلّص شعبك("الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 5/22-23.)

(2: 23-22/)

ويُضيف نص آخر:

"فالآن اذهب وأنا أكون معك، وأعلمك ما تتكلم به. فقال موسى: استمع أيها السيد، أرسل بيد من ترسل. فحمى غضب الرب على موسى" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 12/4) (عبد الوهاب، 1990: ص 6; Page 22-23).(23–22)

.3موسى متردد في قبول التكليف

تُظهر التوراة موسى عند تكليفه بالرسالة في موقف مشوب بالتردد والضعف والخوف، إذ يقول:

" <هلم أرسلك إلى فرعون، وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر. فقال موسى لله: من أنا حتى أذهب إلى فرعون، وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر؟" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 10/3–11) (دويكات، 2006: ص 32) (7; page 32)

هذا التصوير، كما يؤكد الباحثون، يُسهم في تشويه صورة النبي موسى عليه السلام في أذهان المتلقين، إذ يضعه في سياق بشري بحت، يتردد في تنفيذ أمر الله، ويعترض عليه، ويُتهم بالخيانة، ويستوجب الغضب الإلهي.

ثانيًا: شخصية موسى في القرآن الكريم

تُقدّم النصوص القرآنية صورة مشرقة ومتماسكة لشخصية النبي موسى عليه السلام، إذ يظهر فيها نبيًّا كريمًا من أولي العزم، قوي الإيمان، راسخًا في عقيدته، مخلصًا في دعوته، صبورًا في البلاء، شجاعًا في المواجهة، صادقًا في العهد، وناصحًا لأمته. وقد اصطفاه الله تعالى منذ ولادته، وأيّده بمعجزات بيّنات، وأكرمه بخصائص فريدة، من أبرزها: النبوة، الرسالة، التكليم المباشر.

وقد ورد ذكر موسى في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، في أكثر من ثلاثين سورة، وهو بذلك أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن، الأمر الذي يعكس أهمية رسالته وموقعه في البنية القصصية للقرآن الكريم (علي، 1990: ص 111) (8; page 111).

.1موسى مُخلصًا، رسولًا، نبيًّا

قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 51). (1)

ففي هذه الآية، جمع الله لموسى عليه السلام أعظم المقامات: الإخلاص، والرسالة، والنبوة، وهي مقامات لا تُمنح إلا لمن اجتباه الله واصطفاه.

.2موسى كليم الله

اختص الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالتكليم المباشر، دون واسطة من مَلَك، وهي خصوصية لم ينلها غيره من الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164) (1)

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف: 144) (الأندلسي، 1999: ص 18؛ الشعراوي، 1992: ص 2845|) . (9,Page 18; 10 page 2845)

وهذا التكريم الإلهي رفع من شأن موسى بين الأنبياء، ومنحه مكانة عظيمة في سجل الرسالات.

.3موسى مبرَّأً وجيهًا

كان موسى عليه السلام موضع طعن وافتراء من بني إسرائيل، حتى في بدنه، فاتهموه بأقوال باطلة، ولكن الله تعالى برّأه، ورفع ذكره. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: 69)(1) .

.4موسى من الصابرين

تحمّل موسى الأذى في سبيل دعوته، وخرج من بلده خائفًا يترقب، ولبث في مدين سنين، ثم عاد ليواجه فرعون وقومه. وعلى الرغم من كل الصعوبات، صبر واحتسب، وعلّم قومه الصبر على البلاء. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: 128).

.5موسى يغضب لله وينصر المستضعفين

حين رأى موسى قومه يعبدون العجل بعد نجاتهم من فرعون، غضب لله غضبًا شديدًا، وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ (الأعراف: 150).

وقد كان هذا الغضب نابعًا من غيرته على التوحيد، ونصرته لضعفاء قومه.

.6موسى واثقًا بنصر الله

عندما أدرك فرعون بني إسرائيل، واشتد الخوف بينهم، أعلن موسى بثقة ويقين: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: 62) (عبد الوهاب، 1990: ص 22–23.) (23-22 page 6) .

وهو موقف يُجسّد الذروة في التوكل على الله، والثقة بنصره، في وقت المحنة

يرى الباحث أن التباين بين شخصية موسى عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة يعكس اختلافًا جوهريًا في الرؤية العقدية والتاريخية لدى كل من المصدرين.

ففي القرآن الكريم، تظهر شخصية موسى نموذجًا للنبوة الحقة: قوة، إخلاص، اصطفاء إلهي، صبر في الابتلاء، وغضب لله لا لنفسه، وهي صفات تنسجم مع مقام النبوة.

أما في التوراة – كما وصلت إلينا حاليًا – فإن شخصية موسى تبدو متذبذبة ومتناقضة، إذ يُتهم بالخيانة، يُعاقب بالحرمان من الأرض المقدسة، ويظهر مترددًا وضعيف الحجة، وهو ما لا يليق بمقام من اصطفاه الله لقيادة بني إسرائيل وتحدي أعتى طغاة الأرض.

ويؤكد الباحث أن هذه التناقضات في رواية التوراة تنزع عن موسى عليه السلام مكانته الرسالية والروحية الحقيقية، بينما جاء القرآن ليُعيد لهذه الشخصية ما تستحقه من توقير وتكريم، في إطار العقيدة التوحيدية الراسخة.

المطلب الثاني: الشخصية الفرعونية بين نصوص القرآن والتوراة

تتوافق الروايات الدينية في القرآن الكريم والتوراة في كثير من الصفات التي تُنسب إلى فرعون مصر الذي عاصر النبي موسى عليه السلام، وإن وُجد بينهما بعض الفروقات الجوهرية في سياق الخطاب وطبيعة التركيز على المفاهيم العقدية. ويتضح من خلال الدراسة أن الصفات العامة لفرعون تتسم بالعلو والاستكبار والجبروت وتقتيل الأبرياء والفساد في الأرض، كما يتضح أيضًا في بعض المواضع اختلافٌ في تقديم فرعون إلهيًا أو بشريًا طاغيًا، وهو ما سيتم بيانه على النحو الآتي:

أولًا: أوجه التشابه في صفات فرعون بين القرآن الكريم والتوراة

تظهر نصوص كل من القرآن والتوراة قدرًا كبيرًا من التطابق في تصوير العلو والاستكبار والتعذيب والتسلط الذي مارسه فرعون ضد بني إسرائيل. وقد صوّرت هذه النصوص فرعون بوصفه طاغية متسلطًا، بلغ به الكبر أن زعم الألوهية، وسخّر شعبه لخدمته، وأغرقهم في الجهل والطاعة العمياء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز مظاهر طغيانه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:4)(1).

وقد ذكرت التوراة هذا الفعل بوضوح أيضًا، كما في قولها" :ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلًا: كل ابن يولد تطرحونه في النهر، ولكن كل بنت تستحيونها" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 12/1) (دويكات، 2006: ص 25–26.) (7 page 25-26)

.1الاستخفاف بعقول قومه

أخبر القرآن الكريم أن فرعون قد استخفّ بعقول قومه وسخّرهم لطاعته، فقال: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: 54). كما قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24). وهذا الاستخفاف يظهر أيضًا في التوراة بوضوح من خلال خطاب فرعون، وتعامله مع بني إسرائيل كعبيد مسخرين. وقد سعى من خلال ادعاء الألوهية إلى احتكار مصدر الحقيقة والهداية، وقطع الطريق أمام أي وعي جمعي، عبر تقسيم المجتمع طبقيًا، واستعباد طائفة على حساب أخرى.

.2الإفساد في الأرض

ذكر الله تعالى أن فرعون كان مفسدًا في الأرض، كما في الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4).

وكان إفساده على مستويات عدة: إذ ذبح الذكور، واستحيى النساء، وقسّم المجتمع إلى طوائف، وجعل طائفة مسخرة لخدمته. وقد أشارت التوراة إلى ممارسات مشابهة حين قالت" :فجعلوا عليهم رؤساء لكي يذلّوهم بأثقالهم" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 11/1)(2).

.3الاستكبار ونكران الآيات

يُعد الاستكبار من أبرز صفات فرعون في القرآن، إذ رأى الآيات والمعجزات المتتالية، ومع ذلك استمر في التمرد والعناد والكفر. ومن الآيات التي رأى آثارها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. ولكنه، على الرغم من هذه الآيات، تمادى في إنكاره ونقض عهوده.

وقد أكد القرآن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: 133) (دويكات، 2006: ص 26–27.) (7 page 26-27)

أما التوراة، فقد ذكرت هذا الاستكبار أيضًا، إذ قالت" :فاشتد قلب فرعون وقومه، فلم يسمح لهما كما تكلم الرب" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 12/7.) (3)

وفي موضع آخر" :فدعا فرعون موسى وهارون وقال: صلّيا إلى الرب ليرفع الضفادع عني... فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 8/8، 15/8).(2)

ثانيًا: بعض صفات فرعون التي وقع الاختلاف فيها بين القرآن والتوراة

على الرغم من وجود اتفاق عام بين نصوص القرآن الكريم والتوراة في تصوير طغيان فرعون واستكباره، إلا أن هناك فروقات مهمة في التفاصيل، تتعلق بالزمن، والشخصية، والدوافع، وطبيعة المواجهة مع موسى عليه السلام. وقد أبرز الباحث هذه الفروقات على النحو التالي:

.1دعوى فرعون الألوهية

أكد القرآن الكريم أن فرعون لم يكن طاغيةً فحسب، بل ادّعى الألوهية صراحةً، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24)، كما هدّد موسى عليه السلام بالسجن إن اتخذ إلهًا غيره: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: 29)(1) .

في المقابل، لا تُصرّح التوراة بأن فرعون قد ادّعى الألوهية، بل يظهر فيها شخصا متسلطا، يرفض إطلاق بني إسرائيل بدافع الحفاظ على قوة عاملة اقتصادية، وليس بدافع ديني عقائدي. كما لا تشير التوراة إلى أي تحدٍّ مباشر بين موسى وفرعون في قضية "الربوبية"، بل جاء اعتراض فرعون في النص التوراتي على إطلاق الشعب فقط، فقال : "من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب، وإسرائيل لا أطلقه" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 2/5)(3) .

.2فرعون يسمح لموسى بالخروج

تنص التوراة على أن فرعون قد أذن لموسى ومن معه بالخروج من مصر بعد أن نزلت به الضربات، وجاء فيها" :فدعا موسى وهارون ليلًا، وقال: قُوما، اخرجوا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل جميعًا، واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم... وباركوني أيضًا" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 31/12–32).

أما في القرآن الكريم، فلا يُذكر أن فرعون قد أذن بالخروج، بل استمر في المطاردة حتى لحظة الغرق، مما يُظهر أنه لم يكن يومًا راغبًا في تحريرهم أو الاستسلام لموسى، بل كان عناده قائمًا إلى آخر لحظة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ (الشعراء: 60) ، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس: 92) (دويكات، 2006: ص 28–29) (7 Page 28-29)

يرى الباحث أن القرآن الكريم قدّم صورة أكثر اتساقًا ودقة في توصيف شخصية فرعون، مقارنة بما ورد في التوراة. فقد كشف القرآن عن الطابع العقائدي والسياسي لشخصية فرعون، بوصفه رمزًا للطغيان والعلو في الأرض، وبيّن صراحةً دعواه الألوهية واستكباره على الحق، وموقفه النهائي من رسالة موسى عليه السلام.

في المقابل، تظهر التوراة فرعون بشخصية أقرب إلى الحاكم الإداري العنيد، الذي يُعاند من منطلق دنيوي واقتصادي، دون أي عمق لاهوتي. كما تُظهره أحيانًا متأثرًا بالضربات، خاضعًا للآيات، وهو ما لا يتسق مع وصفه في النص القرآني بأنه ظل مصرًا حتى لحظة الهلاك.

وبناءً على ما سبق، يؤكد الباحث أن الطرح القرآني أكثر اتساقًا وتكاملًا من الناحية التاريخية والعقدية واللغوية، ويُقدّم فرعون كنموذج متكامل للطغيان السياسي والديني، مما يجعله نموذجًا رمزيًا خالدًا في سياق العبرة والعظة، وهو ما يتجاوز الوصف التاريخي المباشر إلى البناء الحضاري والتربوي في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث : فرعون موسى في سياقه الجغرافي والسياسي والديني

الموقع الجغرافي لمصر ومكانته النيل في الوعي الديني والسياسي

شكّلت مصر منذ أقدم العصور محورًا حضاريًا وجغرافيًا بالغ الأهمية، إذ تميزت بموقعها الاستراتيجي بين قارات العالم القديم، وإطلالتها على البحر المتوسط من الشمال، والبحر الأحمر من الشرق، واتصالها بنهر النيل شريان الحياة الرئيسي في البلاد. وقد أسهم هذا الموقع الفريد، إلى جانب وفرة الموارد الزراعية بفضل النيل، في نشوء واحدة من أعرق الحضارات في التاريخ، وهي الحضارة المصرية القديمة.

وقد ورد في كثير من الدراسات أن نهر النيل كان يمثل في الوعي المصري القديم رمزًا للقداسة والحياة، وكان يُنظر إليه بوصفه هبة الآلهة، بل وفي بعض النصوص الدينية يُعبد ويُخاطب ككائن إلهي (حسن، 2005: ص 33–35) 6.. وقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوت إلى هذه الحقيقة بقوله" :مصر هبة النيل"، في وصفه الشهير لدور النيل في نشوء الحضارة المصرية القديمة page 11, 1987, 121) .

1.النيل ومكانته الاقتصادية والسياسية

لم يكن النيل مصدرًا للحياة الزراعية فحسب، بل كان أيضًا عنصرًا مركزيًا في البناء السياسي والإداري للدولة المصرية القديمة. فقد اعتمد الملوك والفراعنة على نظام ري دقيق ومستقر، سمح لهم بجمع الضرائب، وتنظيم المجتمع وفق تقسيم طبقي صارم، عزز سلطتهم المركزية. وكانت مواسم الفيضان وتراجعها تُسجل بدقة، وتُنسب إلى رضا أو غضب الآلهة، مما عزز البعد الديني في علاقة السلطة بالنهر (بيومي، 1999، ج1: ص 45–46).

2.القداسة الدينية للنهر

كان النيل في المخيلة الدينية المصرية القديمة مرتبطًا بطقوس الخصوبة والتجدد، وقد خُصصت له طقوس احتفالية تُقام سنويًا بالتزامن مع موسم الفيضان. بل إن بعض الملوك اتخذوا من نهر النيل مصدرًا لتأكيد شرعيتهم الدينية، من خلال نسب أنفسهم إلى الآلهة التي كانت – حسب الاعتقاد – مسؤولة عن فيضانه، مثل الإله "حابى" (عزت، 2010: ص 25) . (12 Page 25)

وقد لعب النيل دورًا مهمًا في المعتقدات الجنائزية، حيث كان يُعتقد أن رحلة الموتى إلى الحياة الآخرة تمر عبر النهر، ما جعله طريقًا مقدسًا للبعث، ومن هنا جاءت أهمية ضفتي النهر في توزيع المقابر والمعابد.

.3النيل في النصوص الدينية

يتردد ذكر النيل في النصوص الدينية المصرية بوصفه تجسيدًا للإله المعطي للحياة، بل إن بعض النقوش القديمة تظهر النيل بصورة إنسانية، يحمل قرابين، ويمنح الخصوبة للأرض. وتذكر بردية "أنى" أن النيل" :يهب الخيرات، ويُرضي الآلهة، ويمنح الملك أسباب الحكم."

كما ورد في التوراة أن أول ضربة نزلت على المصريين في عهد موسى كانت تحويل ماء النيل إلى دم، ما يرمز إلى كسر هذا الرمز المقدس، وقد ورد في سفر الخروج":وامتد موسى بعصاه على المياه فتحولت إلى دم، ومات السمك، وأنتن النهر، ولم يقدر المصريون أن يشربوا منه" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 7/20–21) (عبد الوهاب، 1990: ص 39.) (13, page 39)

يرى الباحث أن نهر النيل لم يكن مجرد مصدر للحياة الطبيعية، بل كان مؤسسة رمزية دينية وسياسية تُكرّس سلطة الحاكم في مصر القديمة. وقد ارتبطت شرعية الفرعون بقدرته على التحكم بالنيل، وتأويل فيضانه، واسترضاء آلهته، ما جعله رمزًا مطلقًا للسيادة. ويُظهر القرآن أن تحويل النيل إلى دم في عهد موسى عليه السلام، لم يكن مجرد معجزة حسية، بل رسالة رمزية قاصمة لسلطة فرعون الدينية والسياسية، ونقضًا صريحًا للمفاهيم الوثنية السائدة

المبحث الرابع: قصة خروج موسى من أرض وادي النيل

المطلب الأول: الاضطهاد أسبابه ونتائجه

يُعد خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام من أهم الأحداث التاريخية والدينية التي تناولتها الكتب السماوية، وقد مثّل هذا الحدث تحولًا حاسمًا في مسار بني إسرائيل السياسي والديني والاجتماعي. وقد اختلفت الروايات الدينية والتاريخية في تصوير دوافع هذا الخروج وأسبابه، وكذلك في تحديد نتائجه ومآلاته، وهو ما يُعد مجالًا رحبًا للبحث المقارن بين الرواية القرآنية والنصوص التوراتية والبيانات الأثرية.

أولًا: الأسباب السياسية والدينية لخروج بني إسرائيل

يشير القرآن الكريم إلى أن بني إسرائيل كانوا يرزحون تحت حكم طاغية جبار هو فرعون، الذي استعبدهم، وميّزهم عن بقية سكان مصر، ومارس ضدهم أشد أنواع الاضطهاد والتمييز العنصري. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص: 4).

وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن هذا الاضطهاد كان له أساس سياسي وديني، إذ مثّل بني إسرائيل – من وجهة نظر الدولة المصرية – تهديدًا ديموغرافيًا واقتصاديًا وأيديولوجيًا، فجرى التعامل معهم كعنصر غريب يجب قمعه وعزله. ومن هنا فإن الخروج لم يكن مجرد هروب جماعي، بل كان تمرّدًا على منظومة العبودية والاستبداد (دويكات، 2006: ص 31–32). (14 page 31-32)

كما تُظهر النصوص التوراتية أن فرعون لم يكن يرغب في التخلي عن بني إسرائيل نظرًا لأهميتهم الاقتصادية كطبقة عاملة، حيث جاء في سفر الخروج" :هلم نحتال لهم لئلا ينموا، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا... فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم" (الكتاب المقدس، التوراة، الخروج: 1/10–11) (عبد الوهاب، 1990: ص 41). (6 page 41)

ثانيًا: نتائج الخروج

1.الهلاك السياسي لفرعون وجيشه

من أبرز نتائج الخروج وفق الرواية القرآنية، أن فرعون هلك هو وجنوده غرقًا، بعد أن استمر في مطاردة بني إسرائيل رغم المعجزات والآيات التي أُريَت له. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ... فَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء: 60–66). كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس: 92).

ويُشير كثير من الباحثين إلى أن غرق فرعون يمثّل نهاية رمزية للطغيان السياسي والوثني في مصر القديمة، كما يُعدّ تأسيسًا لمفهوم "النجاة الإلهية" للمؤمنين، وتدخل الله في حسم الصراع العقائدي (بيومي، 1999، ج2: ص 155.)

.2بداية التيه وبناء الهوية الدينية

بعد الخروج، لم يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة مباشرة، بل تاهوا في الصحراء أربعين سنة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: 26.) (1)

ويُعد هذا التيه – بحسب تفسير كثير من العلماء – مرحلة تربوية تأديبية لإعادة بناء وعي الجماعة بعد قرون من العبودية. وقد أسهم هذا التيه في تشكيل ملامح العقيدة التوحيدية عند بني إسرائيل، وتنقيتهم من شوائب الوثنية التي تسربت إليهم في مصر، بدليل قصتهم مع عبادة العجل الذهبي أثناء غياب موسى عليه السلام (علي، 1990: ص 112–113)(112-113 page 8).

3.الانفصال التام عن النظام الفرعوني

شكّل الخروج قطيعة حاسمة مع النظام السياسي والديني الفرعوني، الذي كان يقوم على تأليه الحاكم والتمييز الطبقي والعبودية الجماعية. وقد أسس الخروج لوعي ديني جديد يقوم على النبوة والتوحيد والعدل، مما جعله نقطة تحوّل محورية في تاريخ الرسالات السماوية.

يرى الباحث أن الخروج من مصر لم يكن مجرد حدث تاريخي، بل كان فعلًا تحرريًا يحمل أبعادًا دينية وحضارية عميقة. فقد مثّل نقطة الانفصال الكبرى عن بنية الاستبداد والوثنية، وكان في الوقت نفسه ابتداءً لتكوين أمة دينية جديدة تحت قيادة نبي يوحى إليه.

ويؤكد أن الرواية القرآنية تتميز بتركيزها على المعاني التربوية والإيمانية في هذا الحدث، وتُبرز حكمة الله في تربية بني إسرائيل من خلال التيه والابتلاءات، بخلاف الرواية التوراتية التي تنحصر في سرد تفصيلي وصراعات تاريخية دون بُعد إصلاحي أو تربوي واضح.

ترجع التوراة أسباب اضطهاد المصريين للإسرائيليين إلى أنه "قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربونا ويصعدون من الأرض" (الكتاب المقدس، التوراة ، الخروج : 10-1:8) (3) وربما أن أمراً قد حدث من الإسرائيليين الذين ساءهم ما كانوا به من عمل في مدينتي فيثوم ورعمسيس أو ربما كانت خيانة أو بداية تمرد أو على الأقل فإن الإسرائيليين وربما بدأوا يواجهون حرباً نفسية لخلخلة الرأي العام المصري وتقول التوراة (فقال لهما ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب عن أعمال) (الكتاب المقدس، التوراة ، الخروج 4:5) (3)لم يقل أحد من العلماء أن الإسرائيليين دخلوا مصر كأسرى حرب ومن ثم استعبدهم المصريون وهذا فضلاً عن إن التوراة إنما تذكر صراحة أن الفرعون أنما كان ينظر إليهم حتى في أوقات الشغب وكأنهم من الشعب وليسوا مجموعة من العبيد أو حتى من المستعبدين ونستخلص الدليل على حسن معاملة الحكام للعمال من بني إسرائيل (بيومي، 1999، ج1: ص 243-246) وتذكر التوراة (بأن الإسرائيليين قد ثاروا على موسى ولما يمض شهر ونصف الشهر على خروجهم من مصر بعد أن أفقدهم موسى حياة الرخاء في مصر وجاء بهم إلى البرية ثم سرعان ما تمضِ فترة فتعود الثورة ويشتد الحنين إلى مصر) (الكتاب المقدس، التوراة ، الخروج (2:16) . (2)

ومن ثم نقرأ في سفر العدد (فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً قد تذكرنا السمك الذي نأكلهُ في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم) (الكتاب المقدس، التوراة ، الخروج (6:11) . (3)

المطلب الثاني: الخروج أسبابه ونتائجه

كان خروج موسى مع بني إسرائيل من أرض مصر كان خلاصاً لهم من الذل والعبودية التي عاشوها فترة من الزمن وفي نفس الوقت كان خروجاً وتمرداً على صاحب الامر والنهي في زمانهم فرعون الذي استعبدهم وسلبهم حقوقهم في الحرية والحياة (دويكات ، 2006: ص140)(140 Page 14) . وإن خروج موسى وجماعته من بني إسرائيل تهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق الأهداف الثلاثة : الحصول على قوة الإله والنبي والتشبه برفعه الأصل ، والتمتع بالوطن الطيب الموعود (سوسة، 2014: ص 242) لا يذكر القرآن شيئاً عن زمن ومكان الخروج بل إن القرآن سكت عن تحديد زمن تلك الفترة من التاريخ بشكل عام فلم يذكر زمن ولادة موسى أو وفاته ولم يحدد تاريخ الفراعنة بشكل عام أو خاص وهذا كله يتماشى مع حكمة القرآن في سرد القصة لأخذ العبرة والموعظة مع الابتعاد عن السرد التاريخي الذي لا يفيد بيان تلك العبرة والعظة وقدر الله أن ينهي المواجهة بين موسى وفرعون وأن يوقف بطش فرعون وملئه لبني إسرائيل وآن الأوان لخروجهم وذلك ليتحقق عملياً (دويكات ، 2006: ص142-143) (143 page 14) . فأوحى الله إلى موسى أن يجمع قومه ويخبرهم أنهم سيرحلون من مصر ليلاً (عاطف، 1980 : ص 143) (143 page 15)، (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) (القرآن الكريم ، سورة الدخان، آية : 23) ولقد سرد القرآن قصة هروب بني

إسرائيل من مصر دون ذكر التفاصيل الجغرافية والعددية الواردة في التوراة المشكوك فيها(بوكاي ، 1411ه : ص262)(262 page 16) أن عدد الإسرائيليين من الرجال فقط والصالحين للقتال منهم كانوا مع موسى في الخروج نحو ستمائة ألف رجل وهذا غير الأطفال والنساء وكبار السن التي سمح لهم فرعون بإخراجهم معهم بعد أن سلط الله على المصريين ألوان العذاب لامتناعهم عن اطلاق الإسرائيليين من عبوديتهم (دويكات ، 2006: ص153)(153 page 13) . وأنه يصعب علينا تصور كيف يمكن أن يكون لستمائة ألف مع عائلاتهم كما تدعيه التوراة إقامة طويلة في الصحراء (بوكاي ، 1411ه : ص262) (262 page 16)ويرجح الباحثون مستندين إلى وصف التوراة أن الطريق التي سلكها في خروجهم من مصر هي طريق عمال المناجم القديم إلى سيناء فارتحلوا من بلدة رعمسيس في أرض "جاسان" وهي التي عرفت بمدينة المخازن وتوجهوا إلى "سكوت" ومن بعدها نزلوا في "إيثام" في طرف البرية نزلوا امام "فم الحيروت" بين "مجدل" والبحر أمام "بعل صفون" مقابله عند البحر عند "فم الحيروت" أنزلوهم بعد أن سعى فرعون وجيشه وراءهم وأدركوهم ثم ارتحلوا من بحر سوف وخرجوا إلى "برية شور" ووصلوا إلى "مارة" ومن "مارة" ذهبوا إلى "إيليم" وهنالك اثنتا عشرة عين ماء فنزلوا عند الماء(سوسة، 2014: ص 552) وتقول التوراة في هذا (وقال الله لموسى : قل لبني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر ، وتنزلون مقابل بعل صفون على البحر . فيقول فرعون إنهم تاهوا في الأرض وأصبحت الصحراء مصيدة لهم . وأقسي قلب فرعون فيتبعهم . فأتمجد بواسطة فرعون وكل جيشه ، ويعرف المصريون أني أنا الله . "ففعل بنو إسرائيل هذا ، وقاد موسى بني إسرائيل من البحر الأحمر وخرجوا إلى صحراء شور . وساروا ثلاثة أيام في الصحراء من غير أن يجدوا ماء فلما وصلوا إلى مارة ، لم يقدروا أن يشربوا ماءها لأنه مر ، ولذلك سميت مارة . فتذمر الشعب على موسى وقالوا : "ماذا نشرب فتضرع موسى إلى الله فأراه الله شجرة فرماها في الماء فصار الماء عذباً هنالك وضع الله للشعب فريضة وشريعة ، وهنالك امتحنهم ، قال : إن سمعت لصوت المولى إلهك وفعلت ما هو صالح في نظره ، وانتبهت إلى وصاياهُ ، وعملت بكل فرائضه ، فلا أجعلك تمرض بأي من الامراض التي أنزلتها على المصريين فأني أنا الله شافيك ثم جاءوا إلى أيليم ، وكانت هناك أثنتا عشرة عين ماءٍ وسبعون نخلة فنصبوا خيامهم بالقرب من الماء) (الكتاب المقدس، التوراة ، 2007 الخروج إصحاح :(14 ، ص 74-71).

المطلب الثالث : المصريون يتبعون الإسرائيليين

تُشير الآيات القرآنية إلى أن خروج بني إسرائيل من أرض مصر لم يكن سرًا، بل كان خروجًا ظاهرًا جهارًا نهارًا، تم تحت أنظار المصريين، وفي وقت كان الناس فيه نشطين ومتيقظين. قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ الشعراء: 60)(1) .

وتُظهر هذه الآية أن فرعون وقومه لاحقوا بني إسرائيل في وقت شروق الشمس، مما يعني أن المسير لم يكن في جنح الظلام، بل كان علنيًا، وهو ما يرجّح أن الخروج قد أثار صدمة عامة ورد فعل اجتماعيًا واسعًا. ويقول الله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُم فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: 78)(1) .

ويُفهم من الآيتين معًا أن المسير لم يقتصر على بني إسرائيل وحدهم، بل انضم إليهم بعض من المصريين ممن آمنوا بموسى أو انحازوا إليه، وقد لاحظ هذا المعنى بعض المفسرين، ممن رأوا أن في هذه الآيات إشارة إلى أن الخروج لم يكن لفئة دينية مغلقة، بل أحدث تأثيرًا عابرًا في بنية المجتمع المصري نفسه. وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب (1990) أن" :من آمن بموسى من المصريين لحق به وخرج معه"،

وكانوا ضمن الذين عبروا البحر (عبد الوهاب، 1990: ص 47–48.) (6 page 48)

وتُعزز هذه الرؤية الآية التالية من سورة الشعراء، التي تقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 67)، وهي تُشير بوضوح إلى أن فئة قليلة فقط آمنت بموسى، ما يفيد بأن بعضًا من المصريين – وإن كانوا قلة – آمنوا ونجوا معه.

وتذهب بعض القراءات المعاصرة إلى أن خروج بني إسرائيل لم يكن مجرد انفصال قومي، بل كان في أحد وجوهه ثورة على نظام العبودية والتسلط الفرعوني، الأمر الذي يجعل من المنطقي أن تنضم إلى هذا الحراك فئات مسحوقة من المصريين أنفسهم، ممن لم يكونوا من الصفوة الحاكمة أو المرتبطة بمراكز القوة. ومن هنا يمكن القول إن الخروج كان له تأثير داخلي ممتد، وليس مجرد هروب لطائفة واحدة.

المطلب الرابع: شخصيات حملت اسم فرعون

تناول العديد من الباحثين والمؤرخين مسألة استخدام اسم "فرعون" في النص القرآني، وهل كان اسم علم لشخص معين، أم لقبًا رسميًا يُطلق على حكام مصر كما جرت العادة في الأدبيات التاريخية. وقد ظهر هذا الجدل في ضوء الفروق الدلالية التي تفصل بين اسم العلم واللقب الوظيفي، خاصة مع غياب استخدام صيغة الجمع (فراعنة) في النص القرآني، أو إيراد الاسم مقرونًا بتعظيم كما في لقب "الملك."

ويستند أصحاب الرأي القائل بأن "فرعون" اسم علم إلى عدد من الأدلة التاريخية واللغوية والقرآنية. ومن أبرز هذه الأدلة ما أورده المؤرخ اليوناني هيرودوت، حين أشار في أحد نصوصه إلى شخصية تُدعى فرعون بوصفه اسمًا لابن الملك سيزوستريس، إذ يقول" :وحين مات سيزوستريس خلفه ابنه فرعون، وهو أمير لم تكن له مغامرات عسكرية، وقد خلف فرعون أحد مواطني ممفيس" (أبو العينين، 1997: ص 120) (120 page 4) وهذا النص يُعتبر من الشواهد النادرة التي تُشير إلى أن اسم "فرعون" قد استخدم فعليًا كاسم علم مستقل، لا كلقب ملكي.

كما أن الدكتور سعيد ثابت ذهب في الاتجاه نفسه، حيث يرى أن تفسير "فرعون" بأنه مشتق من الكلمة المصرية القديمة "بر-عا" – وتعني "البيت العالي" أو "القصر الملكي" – لا يتناسب مع أسلوب الخطاب القرآني. فالقرآن لم يورد الكلمة في سياق تعظيم أو تفخيم، بل استخدمها دائمًا مقرونة بوصف الطغيان، كما في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (طه: 24).

ويُثير الدكتور ثابت تساؤلًا منهجيًا مهمًا: هل من المعقول أن يُخاطَب هذا الطاغية، الذي بلغ ذروة الكفر والجبروت، بلقب تفخيمي يحمل دلالة القداسة؟

ويتابع:

"إن القول بأن المقصود بـ"فرعون" هو القصر الملكي الذي يُطلق عليه مجازًا اسم الحاكم، كأن نقول: "البيت الأبيض يقرر"، أمر لا يتناسب مع السياق الأخلاقي والتربوي للخطاب القرآني" (أبو العينين، 1997: ص 179). (179 page 4)

وبناءً عليه، يرى ثابت أن "فرعون" لا يُمكن أن يكون مجرد لقب سياسي كما في تعبيرات العصور الحديثة، بل هو اسم شخص محدد ورد في القرآن بهذا الشكل القاطع. ويُعزّز هذه الرؤية غياب أي إشارة لاسم شخصي بديل في النصوص المقدسة – سواء القرآن أو التوراة – مما يلفت إلى تعمّد حذف الاسم الشخصي، والإبقاء على "فرعون" كشخصية رمزية متجسدة في هذا الاسم فقط.

ويُضاف إلى ما سبق أن لفظ "فرعون" لم يرد في القرآن الكريم معرفًا بـ"أل" التعريف، بل جاء دائمًا نكرة، وهذا يُضعف احتمال كونه لقبًا رسميًا. كذلك، لم يرد بصيغة الجمع (فراعنة)، مع أن القرآن قد جمع ألقابًا سياسية أخرى، مثل: الملوك، الأكاسرة، القياصرة. فلو كان "فرعون" لقبًا عامًا، لظهر في صيغة الجمع في سياقات تاريخية أو رمزية أخرى، كما هو الحال في الألقاب التي ارتبطت بممالك أخرى.

ومن الأمثلة القرآنية الدالة على الخصوصية الفردية لاسم "فرعون" قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: 101) ، ثم جاء رد موسى عليه السلام مباشرة: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ الإسراء: 102) . (102 page 4)

ويُلاحظ هنا أن الخطاب تم بين علمين: موسى وفرعون، على قدم المساواة من حيث البنية اللغوية، وهذا يؤيد فكرة أن "فرعون" كان اسم علم يُخاطب به صاحبه مباشرة، لا مجرد منصب وظيفي.

كما يؤكد المفسرون أن ورود "فرعون" مع ياء النداء المجردة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 104) ، يتعارض مع أسلوب الخطاب الموجه لأصحاب الألقاب أو المناصب، الذين يُنادَون غالبًا بـ"يا أيها"، كما في: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾، أو: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾. وهو ما يُرجّح أن "فرعون" ليس لقبًا سياسيًا أو دينيًا رسميًا، بل اسم شخصي لحاكم بعينه.

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

وقد ذهب الأستاذ عبد الوهاب إلى أن استعمال القرآن لكلمة "فرعون" كمقابل لشخص واحد فقط في مواضع محددة، مع غياب ذكر أسماء بقية الملوك المصريين، يدل على أن المسألة تتجاوز حدود الاصطلاح السياسي إلى مستوى الرمزية العقدية، حيث أصبح "فرعون" يُمثل نموذجًا للطغيان المتكرر عبر العصور (عبد الوهاب، 1990: ص 50). (6 page 50)

ويُؤيد هذا التوجه أيضًا غياب أي اسم شخصي لحاكم مصر في عهد موسى سواء في القرآن أو التوراة، مما يدل – في رأي بعض الباحثين – على نية مقصودة لإبقاء فرعون مجهول الاسم، معروف الفعل، حتى لا يُخلّد بالذكر في سياق التكريم أو التمجيد، خلافًا لما جرت عليه العادة في النقوش الفرعونية أو النصوص الدينية الأخرى.

وقد ذهب بعض المفكرين والباحثين إلى أن ترك القرآن الكريم لاسم هذا الحاكم دون تحديد، رغم خطورة ما فعله من طغيان وتجبر، ليس تجاهلًا تاريخيًا، بل مقصود تربوي رمزي. فقد أراد الله سبحانه أن يُجرد الطغيان من أي قيمة شخصية أو نسبية، ويجعل "فرعون" رمزًا عامًا للظلم والطغيان في كل زمان، بحيث لا يُحصر في شخص أو مرحلة، بل يُصبح صورة نمطية يتكرر ظهورها في مسارات التاريخ المختلفة.

وفي هذا السياق، يعلق الأستاذ عبد الوهاب بأن القرآن الكريم، على خلاف التوراة، تجنّب الخوض في تفاصيل السلالة أو الخلفيات العائلية لشخصية فرعون، بل ركّز على صفاته وأفعاله ومواقفه من الحق، في إطار تربوي وعقائدي محض. وهذا ما يتسق مع التوجه العام للقرآن، الذي لا يهتم بالتوثيق التاريخي من أجل ذاته، بل يختار من التفاصيل ما يخدم الرسالة الإيمانية والبعد التربوي في القصة (عبد الوهاب، 1990: ص 51) (6 page 51)

ويضيف بعض الباحثين، أن القرآن إنما اكتفى بذكر "فرعون" وحده، من دون بقية الحكام الذين سبقوه أو خلفوه، لأن ذلك يُبرز فكرة أن الطغيان ليس ظاهرة سياسية عابرة، بل عقيدة تُسكن أصحابها، وتجعلهم يتمردون على الوحي والحق، ويستغلون الناس ويُفسدون في الأرض.

كما أن استخدام القرآن لهذا الاسم المفرد (فرعون) في أكثر من موضع وبنفس البنية، يوحي بوحدة النموذج الطاغي، على الرغم من تعدد الأشخاص والأزمنة، مما يعزز البعد الرمزي فيه، ويجعله قريبًا من المفهوم التحليلي لشخصيات "الأنماط" أو "الرموز التاريخية الكبرى." ويستنتج بعض المحققين في هذا السياق أن "فرعون موسى" الذي ورد في القرآن ليس مجرد شخصية تاريخية معزولة، بل هو نموذج مركب، يشير إلى منظومة سياسية ودينية قائمة على تأليه الحاكم، وقهر الناس، وتكريس طبقية متوحشة باسم الحكم الإلهي، وهذا ما يتكرر في أشكال مختلفة من الاستبداد على مر العصور (أبو العينين، 1997: ص 122). (4, page 122)

وفي ضوء ذلك، يرى عدد من الباحثين أن شخصية "فرعون" – كما وردت في القرآن الكريم – لا ينبغي مقاربتها فقط من منظور تاريخي صرف، بل يجب فهمها كصورة رمزية للطغيان العقائدي والسياسي المتكرّر. ومن هنا جاءت أهمية ما طرحه الدكتور سعيد ثابت، الذي شدّد على ضرورة تجاوز التفسير التقليدي لكلمة "فرعون" بأنها مجرد لقب مشتق من "بر-عا" بمعنى "البيت العالي" أو "القصر"، لأن هذا التفسير، برأيه، لا ينسجم مع السياق التربوي والعقدي الذي وردت فيه الكلمة في القرآن الكريم.

ويؤكد ثابت أن هذا التفسير اللغوي – وإن كان مدعومًا ببعض الشواهد الأثرية – لا يليق بأن يُخاطَب به شخص بلغ من الطغيان مبلغًا أن قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24) ، وقد ردّ الله عليه بسلسلة من الآيات التي تكشف كفره، وفساده، وتكبره، واستخفافه بقومه، واستعباده لهم.

كما أشار بعض المفكرين إلى أن بعض التفسيرات التي ربطت "فرعون" بالقصر، تشبه ما يُقال اليوم مجازًا عن "البيت الأبيض" أو "قصر الإليزيه"، ولكن الفرق الجوهري هو أن السياق القرآني لا يسمح بالتفخيم أو التلطيف في الخطاب تجاه الطغاة، بل يختار الألفاظ بعناية تامة لتصوير جرائمهم، وفضح منهجهم، ومصيرهم، من غير لبس.

وعليه، فإن الاقتصار على التفسير الأثري أو المجازي يفوّت على المتلقي الحمولة الرمزية والإيمانية لكلمة "فرعون" في القرآن الكريم، ويجعلها محصورة في إطار تأريخي ضيق، بينما أرادها النص القرآني أن تكون نموذجًا يُستحضر كلما وُجد ظلم وتجبر واستبداد.

يرى الباحث أن اسم "فرعون" في القرآن الكريم هو اسم علم لحاكم بعينه عاصر موسى عليه السلام، لا مجرد لقب وظيفي، وأن استخدامه بهذا الشكل ينسجم مع الأهداف التربوية والدينية للنص، ويمنح القصة طابعًا رمزيًا عالميًا يجعلها متجاوزة للحدود الزمنية والتاريخية الضيقة.

المبحث الخامس: العلماء يحددون فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج

المطلب الأول : اختلاف العلماء في زمن خروج موسى واتباعه من مصر

حظيت قضية تحديد زمن خروج بني إسرائيل من مصر، والشخصية الفرعونية التي عاصرت هذا الخروج، باهتمام واسع من قبل المؤرخين والباحثين، سواء في الأوساط الغربية أو الإسلامية. وقد تنوعت آراء العلماء واختلفت حول الحقبة الزمنية التي وقع فيها الخروج، نظرًا لتعدد المصادر وتفاوتها في الدقة والاعتماد، إضافة إلى اختلاف وجهات النظر في قراءة النصوص الدينية والتاريخية والأثرية. وقد ركّز أغلب الباحثين في هذا المجال على محاولة تحديد شخصيتين رئيسيتين:

.1فرعون الاضطهاد: أي الملك الذي اضطهد بني إسرائيل، وفرض عليهم العبودية، وأمر بقتل أبنائهم وترك نسائهم.

.2فرعون الخروج: أي الحاكم الذي وقعت على يده المعجزات، وحدث في عهده الخروج النهائي، والذي غرق أثناء مطاردته لموسى ومن معه.

وتعتمد هذه التفرقة – التي تبناها العديد من الباحثين – على ما ورد في النصوص الدينية، خاصة القرآن الكريم، الذي أشار إلى وجود فترة من الاضطهاد المسبق على يد فرعون وقومه، سبق أن بُعث موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل برسالته، ثم تبعها مرحلة المواجهة والآيات والخروج.

وقد بدأ الاجتهاد في تحديد هذه الشخصيات منذ القرن التاسع عشر الميلادي، مع تطور علم المصريات، حيث حاول الباحثون ربط الروايات التوراتية والقرآنية بالسجلات التاريخية والنقوش الأثرية، وتحديدًا تلك المتعلقة بأسماء الملوك وتواريخ حكمهم وحملاتهم العسكرية، وترتيب الأسرات الحاكمة في مصر القديمة (عزت، 2010: ص 31–32). (32-31 page 5)

ويُشير بعض الباحثين إلى أن تحديد تاريخ الخروج يُعدّ من أصعب الموضوعات التاريخية المتعلقة ببني إسرائيل، نظرًا لاختلاف مناهج التأريخ بين التوراة والوثائق المصرية، فضلًا عن الغموض المتعمد في بعض الروايات الدينية التي لم تُحدد أسماء الحكام أو السنوات بدقة، مما يجعل الاعتماد على التحليل المقارن ضرورة منهجية.

وتُعد الرواية التوراتية في سفر الخروج المرجع الأكثر تداولًا عند الباحثين الغربيين لتحديد زمن الخروج. لكنها – كما هو معلوم – تفتقر إلى الضبط التاريخي الصريح، إذ لا تُحدّد أسماء الفراعنة الذين حكموا مصر في تلك الفترة، بل تكتفي باستخدام لفظ "فرعون ملك مصر" دون تحديد. وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن هذا الغموض يحول دون إجراء مقاربة دقيقة بين ما ورد في التوراة وما تم اكتشافه من وثائق مصرية قديمة (دويكات، 2006: ص 36–37).-36 (7 page 37)

وقد سلك الباحثون اتجاهات متباينة في تفسير الروايات وتوفيقها مع الواقع الأثري، فذهب فريق منهم إلى أن الخروج حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وذلك خلال حكم رمسيس الثاني (1279–1213 ق.م)، واعتبروا أن هذا الملك هو فرعون الاضطهاد والخروج معًا. واستند أصحاب هذا الرأي إلى وجود إشارات في التوراة حول بناء "فيثوم ورعمسيس" كمدن عمل فيها بنو إسرائيل بالسخرة، وهي مدن تُنسب إلى عهد رمسيس الثاني، بحسب النقوش الأثرية المكتشفة (بيومي، 1999، ج2: ص 57).

أما الاتجاه الآخر من الباحثين، فقد رفضوا هذا الدمج بين فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج، واعتبروا أن رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد فقط، بينما خَلَفُه مرنبتاح هو من وقعت في عهده معجزات موسى والخروج من مصر. ويُستند في ذلك إلى لوحة "مرنبتاح"

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

الشهيرة، والتي يُفهم منها أن بني إسرائيل كانوا قد خرجوا من مصر بالفعل، وأنه أشار إليهم باعتبارهم شعبًا غريبًا وغير مستقر (عزت، 2010: ص 34). (5 page 34)

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن هذه التفسيرات الغربية – رغم تنوعها – تظل مرهونة بقراءة التوراة وحدها، وتُغفل السياق القرآني الذي يتميز بدقة لغوية ومفهومية أعلى، خاصة في التفريق بين من اضطهد بني إسرائيل، ومن خرجوا في عهده، إذ لا يُعقل أن يكون الملك نفسه قد مارس سياسة الاستعباد لسنوات، ثم عايش البعثة والمعجزات، ثم لاحقهم حتى الغرق، وهو ما يتطلب بالضرورة فاصلًا زمنيًا وشخصيتين مختلفتين.

ويستند أصحاب الاتجاه القائل بوجود فرعونَين اثنين – أحدهما للاضطهاد، والآخر للخروج – إلى ما يُعرف في الدراسات الأثرية بـ"التحليل الزمني للنقوش واللوحات الملكية"، حيث تم اكتشاف لوحة شهيرة تُعرف باسم "لوحة إسرائيل" أو "لوحة مرنبتاح"، وهي نص منقوش على حجر من الجرانيت الأسود يُنسب إلى الملك مرنبتاح ابن رمسيس الثاني. وقد ذُكر فيها اسم "إسرائيل" بوضوح، وهي تُعد أقدم إشارة معروفة إلى بني إسرائيل في السجلات المصرية. وجاء في النص" :إسرائيل خربت، ولم يعد لها نسل" (عزت، 2010: ص 34). (12 page 34)

وقد فُسّرت هذه العبارة من قبل علماء الآثار على أن إسرائيل كانت قد خرجت من مصر في زمن سابق لمرنبتاح، وأن هذه اللوحة تؤكد أن بني إسرائيل أصبحوا خارج النفوذ المصري، ما يُضعف احتمال أن يكون مرنبتاح نفسه هو فرعون الغرق، ويُرجّح أن الغرق حدث قبل زمنه.

من ناحية أخرى، تشير بعض القراءات التوراتية إلى أن الخروج حدث بعد بناء مدينتي "رعمسيس وفيثوم"، المنسوبتين إلى رمسيس الثاني، وهو ما يُستدل به على أنه فرعون الاضطهاد. كما أن سجلات حكمه الممتد أكثر من 60 عامًا تدعم فكرة أنه مارس سياسة تمييز واستعباد طويلة بحق بني إسرائيل.

لكن التناقض يبدأ حين نحاول الجمع بين رمسيس الثاني كفرعون للاضطهاد والخروج معًا، لأن الوقائع – كما يظهر في القرآن الكريم – تدل على أن موسى نشأ في قصر فرعون، ثم غادر مصر، وعاد بعد سنين طويلة، وخاض صراعًا مع فرعون انتهى بالغرق. وهذه الحلقات التاريخية يصعب وقوعها كلها في حياة حاكم واحد، ما يُعزز منطقية القول بوجود فرعونَين.

ويؤيد هذا الاتجاه أيضًا ما ورد في القرآن الكريم من مفارقة بين المرحلة الأولى من ولادة موسى عليه السلام وما تعرض له بنو إسرائيل من مذابح واضطهاد، ثم مرحلة بعثته ونبوته، ثم المواجهة مع فرعون والخروج. وهذه المراحل لا تقتصر زمنيًا على فترة حكم ملك واحد.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن هذه الفرضية – القائلة بوجود فرعونين – ليست جديدة، بل سبقت إليها تفاسير إسلامية قديمة، إذ نقل المفسرون أن موسى عليه السلام تربى في بيت فرعون الأول، ثم خرج من مصر بعد أن وكز القبطي، ثم عاد بعد سنين بوحي الرسالة ليواجه فرعونًا آخر. ويُفهم من ذلك أن زمن النبوة كان في عهد غير الذي نشأ فيه موسى صغيرًا، مما يتطابق مع فكرة وجود فرعون للاضطهاد وآخر للخروج.

ويستدل بعضهم كذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى على لسان فرعون أثناء المواجهة مع موسى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا، وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء: 18)، (1)وهو ما يدل على أن المتحدث هو فرعون الذي عايش مرحلة نشأة موسى. لكن المفسرين فسّروا ذلك بأن فرعون المتكلم هنا إنما هو من خلف سلفه في الحكم، وكان يعلم بتاريخ موسى وطفولته، وقد تربى موسى في قصر الحكم، ولذلك استُخدمت صيغة "ربّيناك" بوصفه ممثلًا للسلطة، لا بالضرورة أنه الشخص ذاته.

وفي هذا السياق، يُضيف الدكتور عزت أن القصور الزمنية في محاولة تطابق فرعون واحد لكل من الاضطهاد والخروج تُربك النسق المنطقي للسرد التاريخي والقرآني، وتجعله محشورًا في إطار لا يسع الأحداث الكثيفة التي تخللت القصة. ولهذا فإن الفهم المتزن يستوجب الفصل بين مرحلتين واضحتين: مرحلة الاستعباد، ومرحلة المواجهة والنهاية، مع ما لكل واحدة من خصوصية سياسية وظرفية (عزت، 2010: ص 35–36.) (12 page 35-36)

كما أن الأبحاث الأثرية الحديثة، مثل دراسات آرثر ويغال وجيمس هنري برستد، تُظهر أن الملوك المصريين كانوا يواجهون اضطرابات داخلية وخارجية، وأن هناك تغيرًا ملحوظًا في السياسة تجاه الأقليات والعمال خلال الفترة الانتقالية بين رمسيس الثاني ومرنبتاح، ما يُمكن أن يتناسب مع قصة موسى وخروج بني إسرائيل (بيومي، 1999، ج2: ص 74–75).

ومما يُعزز الرأي القائل بوجود فرعونين، أن فترة غياب موسى عليه السلام عن مصر بعد حادثة وكزه للقبطي، كانت طويلة، إذ قال تعالى على لسان موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: 21). (1)

وقد نقل المفسرون أنه لبث في مدين عشر سنوات أو يزيد، ثم عاد حاملًا رسالة من الله إلى فرعون. وإذا أُخذ في الاعتبار أن رمسيس الثاني قد حكم لأكثر من ستين سنة، فإن جمع كل هذه المراحل (نشأة موسى، خروجه، غيبته، عودته، وبعثته، ثم وقوع المعجزات والغرق) في عهد حاكم واحد أمر يثقل السياق التاريخي ويُضعفه من الناحية الواقعية.

كما أن النصوص القرآنية تُظهر أن فرعون الذي واجه موسى عليه السلام كان في أوج سلطته وبطشه، وليس في نهايات حكمه، مما لا يتناسب مع رمسيس الثاني في شيخوخته، بل ربما مع مرنبتاح الذي كان حديث العهد بالحكم، حادًّا في رد فعله، راغبًا في إثبات قوته، ما يجعله مرشحًا أقرب لأن يكون فرعون الخروج.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن التفريق بين فرعونَي الاضطهاد والخروج يُحقق انسجامًا أكبر مع النص القرآني والتسلسل الزمني للأحداث، وهو ما يعززه التباين الواضح في النبرة بين فرعون الذي استعبد بني إسرائيل وفرض العمل القسري، وبين فرعون الذي تحدى موسى عليه السلام علنًا، وشهد الآيات الكبرى، ومات غرقًا مع جنوده (بيومي، 1999، ج2: ص 77.)

يرى الباحث أن الترجيح الأقرب إلى الدقة هو أن فرعون الاضطهاد يختلف عن فرعون الخروج، وأن محاولة جمع شخصيتين متباعدتين في شخصية تاريخية واحدة تُنتج اضطرابًا سرديًا وتاريخيًا. كما أن هذا التفريق يُسهم في فهم أعمق لبنية القصة القرآنية من حيث التسلسل، والرمزية، والحكمة التربوية.

المطلب الثاني: النقوش المصرية وظهور اسم "إسرائيل" – قراءة في أنشودة النصر ولوحة مرنبتاح

تُعد "أنشودة النصر" أو ما تُعرف بـ"لوحة مرنبتاح" من أبرز الاكتشافات الأثرية في تاريخ علم المصريات، نظرًا لأنها تمثل أول إشارة مدونة في التاريخ المصري القديم إلى اسم "إسرائيل"، وتعود هذه اللوحة إلى عهد الملك مرنبتاح بن رمسيس الثاني، الذي يُعد من الشخصيات المثيرة للجدل بين الباحثين في محاولتهم تحديد فرعون الخروج زمن موسى عليه السلام.

وقد اكتُشفت اللوحة عام 1896م في معبد مرنبتاح بمدينة الأقصر، وهي منقوشة باللغة الهيروغليفية، وتحتوي على سجل بانتصاراته العسكرية، وفي آخر سطورها وردت العبارة الآتية" :إسرائيل خُرّبَت، ولم يعد لها نسل" (عبد الهادي، 2004: ص 82).(82 page 16)

تمثل هذه العبارة مصدرًا بالغ الأهمية للباحثين الذين حاولوا مقارنة النقوش المصرية مع الرواية التوراتية والقرآنية لقصة خروج بني إسرائيل من مصر، إذ تُعد اللوحة أول دليل مكتوب يُشير إلى وجود "إسرائيل" كشعب معروف في الوعي السياسي المصري، وتُستخدم أداة لتأريخ الوجود الإسرائيلي في أرض كنعان أو في طور الخروج من مصر.

وقد أشار الدكتور جمال عبد الهادي إلى أن هذه العبارة تدل على أن "إسرائيل" كانت قد خرجت بالفعل من مصر، وأن مرنبتاح واجههم في خارجها، مما يُشير ضمنيًا إلى أن والده رمسيس الثاني كان هو فرعون الاضطهاد، بينما مرنبتاح هو فرعون الخروج، أي الذي وقعت في عهده معجزات موسى عليه السلام، وانتهى به المطاف إلى الغرق (عبد الهادي، 2004: ص 83–84).(84-83 page 16)

ويُستفاد من هذه القراءة أن نقش "أنشودة النصر" يفتح الباب أمام تأريخ دقيق نسبيًا لقصة موسى عليه السلام مع فرعون، من خلال مطابقة

Al-Noor Journal for Humanities, Vol. 3 No. 4, 2025 (263-274)
ISSN: 3005-5091 **DOI:** https://doi.org/10.69513/jnfh.v3.i4.a13

اسم إسرائيل مع عصر ملك محدد، وبيئة سياسية محددة. كما أن إيراد اسم "إسرائيل" وحده دون الإشارة إلى أي ممالك كنعانية أخرى – على خلاف ما ورد في باقي اللوحة – يُوحي بأن بني إسرائيل كانوا آنذاك جماعة سكانية متميزة من حيث التكوين والهوية، وهذا ينسجم مع الرواية القرآنية التي تُصورهم كجماعة دينية متفردة خرجت من مصر تحت قيادة نبي مرسل.

ويشير مضمون اللوحة – ولا سيما السطر الأخير منها – إلى أن مرنبتاح اعتبر "إسرائيل" جهة أو كيانًا معاديًا قد ألحق به الضرر، وادعى الانتصار عليه. وقد فسّر بعض الباحثين هذا الإعلان ضمن "أنشودة النصر" بأنه محاولة دعائية سياسية لتأكيد قوة مرنبتاح وسيطرته على المناطق التي تقع شرق مصر، والتي يُفترض أن بني إسرائيل كانوا يتواجدون فيها بعد الخروج.

وقد ذهب بعض علماء الآثار – مثل ويليام ألت وكِنِث كيتشن – إلى أن صياغة عبارة "إسرائيل خربت، ولم يعد لها نسل" لا تعني بالضرورة إبادة جماعية أو فناء فعلي، بل قد تكون مجازًا سياسيًا يُستخدم في النقوش الملكية للدلالة على الانتصار، كما هو شائع في أدبيات النصر المصرية، حيث بالغ الملوك في تصوير إنجازاتهم (عبد الهادي، 2004: ص 83).(16, page 83)

من جهة أخرى، يرى عدد من الباحثين المسلمين أن هذه اللوحة تقدم قرينة قوية تدعم الرواية القرآنية، التي تؤكد خروج بني إسرائيل من مصر في عهد طاغية أنكر الرسالة، وتحدّى موسى، ثم مات غرقًا، دون أن يُذكر اسمه. وقد أشار الأستاذ عبد الوهاب إلى أن اللوحة تُعد دليلاً أثريًا يؤكّد أن "إسرائيل" كانت معروفة بالاسم في الوعي المصري، وأنها كانت تمثل تحديًا للحكم المصري في تلك الفترة (عبد الوهاب، 1990: ص 61).(6 page 61)

ويلاحظ أيضًا أن اللوحة لم تذكر أيًا من شعوب كنعان الأخرى – مثل الفلسطينيين أو العمونيين أو المؤابيين – في سياق مماثل، بل جاءت إشارة "إسرائيل" مفصولة عن أسماء المدن، مما قد يدل على أن المصريين لم يتعاملوا معهم ككيان سياسي أو حضاري تقليدي، بل كمجموعة دينية أو إثنية منفصلة، وهو ما ينسجم مع الطبيعة الخاصة لبني إسرائيل كما صورها القرآن.

كما أن عبارة "خربت" في السياق المصري القديم، لم تكن دائمًا تشير إلى التدمير العسكري المباشر، بل قد تشير أحيانًا إلى الخروج من تحت السيطرة أو "التمرد الناجح"، مما يُفسّر أيضًا على أن الخروج من مصر قد وقع قبل زمن مرنبتاح بمدة قريبة، وبهذا يكون النقش تسجيلًا لمحاولة تثبيت الردع بعد الهزيمة الرمزية التي مُني بها النظام المصري في واقعة الخروج.

ويُعد الربط بين اسم "إسرائيل" الوارد في لوحة مرنبتاح، وبين قصة الخروج كما يرويها القرآن الكريم، محاولة لفهم الزمن التاريخي لموسى عليه السلام في ضوء الشهادات الأثرية. ويؤكد الدكتور جمال عبد الهادي أن مضمون اللوحة يُشير ضمنًا إلى أن "إسرائيل" لم تعد خاضعة لسلطة مصر، بل أصبحت كيانًا حرًّا خارج سيطرة فرعون، وهو ما يتماشى تمامًا مع الرواية القرآنية التي تفيد بخروج بني إسرائيل من مصر، وإغراق فرعون وقومه، ثم دخولهم في مرحلة التيه والانفصال السياسي والديني عن مصر (عبد الهادي، 2004: ص 84).(16 page 84)

كما أن استخدام النقش لعبارة "ولم يعد لها نسل"، يتطابق مع الصيغة المصرية المعهودة في وصف القضاء على الجماعات المعادية، وقد فُسّرت من بعض علماء المصريات المعاصرين بأنها لا تعني الفناء البيولوجي، بل تشير إلى الانسحاب من الساحة السياسية أو خروج الجماعة من مجال النفوذ المصري. وهذا التفسير ينسجم مع الطابع الدعائي الذي كانت تُكتب به مثل هذه النقوش، أكثر من انسجامه مع سرد تاريخي محايد.

ويُلاحظ كذلك أن نقش مرنبتاح لم يُذكر فيه أي تفصيل بشأن كيف خُرّبت إسرائيل، أو أين وقعت المواجهة، أو طبيعة التهديد الذي شكّلته، مما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن "أنشودة النصر" لم تكن توثيقًا لمعركة محددة، بل كانت محاولة لتثبيت هيبة الملك واستعادة الهيمنة الرمزية، خاصة بعد الهزيمة المعنوية التي تكبدها المصريون في قصة الخروج.

ويُضيف الدكتور عبد الهادي أن قراءة هذه اللوحة من زاوية قرآنية تسمح بربط النقش مباشرة بنهاية قصة فرعون مع موسى عليه السلام، إذ أن غرق فرعون ومن معه، ونجاة بني إسرائيل، حدث ترك أثرًا عميقًا في الوعي السياسي المصري، وقد يكون نقش مرنبتاح محاولة لطمس ذلك الأثر أو تغطيته بدعاية النصر (عبد الهادي، 2004: ص 85) .(16 page 85)

يرى عدد من الباحثين أن لوحة مرنبتاح تُشكل صلة وصل مادية بين التاريخ المصري والنص القرآني، فهي أول وثيقة فرعونية تنقل لنا اسم "إسرائيل" ككيان معترف به، بغضّ النظر عن طبيعة الاعتراف أو عدائية سياقه. ويُعزز ذلك الاتجاه القائل بأن مرنبتاح هو الأرجح أن يكون فرعون الخروج، بناءً على تزامن الأحداث وتتابع الأسرات، وشكل الخطاب المستخدم في تلك الفترة.

وقد ساعد هذا النقش، بما احتواه من بيانات مختصرة ومركّزة، في إعادة فتح ملف التأريخ المصري لبني إسرائيل، بعدما ظلت الرواية التوراتية هي المرجع الأساسي لعقود طويلة. كما أن الصياغة الموجزة لعبارة "إسرائيل خربت" حفّزت عددًا من الباحثين المسلمين لإعادة قراءة النصوص الفرعونية، في ضوء فهم قرآني يُقدم رؤية أكثر انضباطًا وتحليلًا من الناحية العقائدية والتاريخية.

ورغم أن بعض العلماء يشككون في الربط المباشر بين هذه اللوحة وقصة موسى عليه السلام، فإن الاتجاه الغالب في الأدبيات العربية والإسلامية الحديثة، خاصة لدى من يُوازن بين الأثر والنص، يُرجّح أن هذا النقش هو الأثر الوحيد القابل للتوظيف بشكل علمي ومنهجي في سبيل تحديد معالم مرحلة الخروج، خاصة أن السياقات الأخرى – كالأساطير أو النقوش الرمزية – لم ترد فيها إشارات واضحة لبني إسرائيل بالاسم.

ويُبرز هذا المثال أهمية دمج منهجية التفسير التاريخي المقارن مع النقد النصي والديني، بما يتيح توظيف الاكتشافات الأثرية بعيدًا عن التفسيرات الغربية التي تُحمّل التوراة مركزية مطلقة. فالقراءة من خلال القرآن الكريم تكشف أبعادًا أعمق للحدث، وتفتح المجال أمام تأويلات تربوية وتاريخية أكثر تماسكًا.

يرى الباحث أن لوحة مرنبتاح تُعد شاهدًا أثريًا فريدًا يُشير بوضوح إلى وقوع الخروج قبل زمن هذا الملك مباشرة، ويُرجّح أن مرنبتاح هو فرعون الخروج الذي غرق أثناء مطاردته لبني إسرائيل. كما يقرّ أن هذه اللوحة تمثل تقاطعًا نادرًا بين السجل المصري الرسمي والرواية القرآنية، وتؤكد دقة الصياغة القرآنية وتماسكها مع حقائق التاريخ الأثري عند مقارنتها بعناية.

المطلب الثالث: فرعون موسى في القرآن – قراءة تحليلية في شخصية الحاكم الغارق

تميّز الخطاب القرآني في عرضه لشخصية فرعون موسى عليه السلام بتكثيف الرمزية وشمولية السرد التربوي، إذ لم يقتصر على تفاصيل الأحداث التاريخية فحسب، بل أبرز البنية النفسية والعقدية والسياسية لهذه الشخصية، التي تحوّلت في النص القرآني إلى نموذجٍ متكررٍ للطغيان والجحود والعناد والتأليه الباطل للنفس. وقد أولى المُفسرون والباحثون عناية كبيرة لمحاولة تحديد هوية هذا الحاكم، استنادًا إلى إشارات القرآن الكريم وسياقات الخطاب.

ويُلاحظ أن القرآن الكريم استخدم اسم "فرعون" بصورة مطلقة دون أن يُحدده بلقب أو اسم علم آخر، على عكس ما فعله مع ملوك آخرين كـ"يوسف"، الذي ورد ذكر "الملك" في زمنه (وليس فرعون)، وهو ما أثار جدلًا حول دقة استخدام الاصطلاح القرآني، ودلالاته التاريخية الدقيقة.

وقد فسّر بعض العلماء هذا التمايز بأن القرآن ميّز بين لقب "فرعون" و"الملك" بناءً على الحقبة الزمنية، فزمن يوسف عليه السلام يعود إلى الأسرة الهكسوسية، وهم لم يستخدموا لقب "فرعون"، بينما زمن موسى جاء في ذروة السلطة المصرية الفرعونية، وقد شاع فيه هذا اللقب (عبد الهادي، 2004: ص 91)(16 page 91) .

وتُظهر الآيات القرآنية أن فرعون موسى كان يتمتع بسلطة مطلقة، وجيش نظامي، ونظام قضائي وديني تابع له، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ (القصص: 4)، وقال أيضًا على لسان فرعون: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص:

38)، ما يشير إلى سيطرة أيديولوجية وهيكلية على مؤسسات الدولة والدين معًا.

وقد أشار الدكتور سعيد أبو العينين إلى أن ملامح هذه السلطة الشمولية كما وصفها القرآن تتطابق مع سمات الحكم في أواخر الدولة الحديثة في مصر، وتحديدًا في عهد رمسيس الثاني ومرنبتاح، حيث ظهرت النزعة إلى التأليه السياسي، وربط الولاء السياسي بالولاء الديني (أبو العينين، 1997: ص 156–157)(157-156 page 4) .

من السمات اللافتة في شخصية فرعون كما صورها القرآن الكريم، أنه لم يكن مجرد حاكم سياسي، بل ادّعى الألوهية صراحةً، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: 24)(1) .

وهذه الدعوى لم تُنقل في التوراة بنفس هذا الوضوح، مما يُضفي على النص القرآني بعدًا عقديًا خاصًا، ويجعل من شخصية فرعون أنموذجًا للحاكم المؤلّه في سياق الصراع بين الوحي والاستبداد.

وتشير الآيات أيضًا إلى أن فرعون كان يُحاط بـ"الملأ" – أي بطانة الحكم والنخبة النافذة – الذين كانوا يؤيدونه في قراراته، ويخدمون مشروعه السلطوي، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ...﴾ (الأعراف: 109)، وهو ما يعكس وجود نظام سياسي منظم ومعقد، وليس مجرد حاكم فردي متسلط.

وقد ذهب الأستاذ عبد الوهاب إلى أن الصورة التي قدمها القرآن عن فرعون موسى تتجاوز كونها وصفًا لحاكم بعينه، لتكون نموذجًا متكررًا في التاريخ البشري، يمثل كل سلطة تُعلي من شأن الذات وتحتكر الخطاب الديني والسياسي، وتقف في مواجهة الحق والعدل والرسالة (عبد الوهاب، 1990: ص 66).(66 page 6)

كما أن القرآن لم يركّز على اسم فرعون أو نسبه أو سلالته، بل سلّط الضوء على أفعاله ومواقفه وسلوكه في مواجهة دعوة موسى، ما يُظهر أن الغرض من السرد القرآني ليس توثيق الاسم، بل تثبيت الدرس والعبرة من سلوكه.

وقد أشار الدكتور عبد الهادي إلى أن تركيز القرآن على "فرعون" دون تحديد الاسم الشخصي، رغم توفر الإمكانية اللغوية لذلك، فيه رمز مقصود لتجريد الاستبداد من شرعية الخلود في الذاكرة، بخلاف ما فعله مع شخصيات أخرى كـ"هامان" و"قارون" (عبد الهادي، 2004: ص 92).(16 page 92)

ومن الملامح الأساسية لشخصية فرعون في القرآن، موقفه من الآيات والمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، فقد ظل يُكذّبها ويُعرض عنها، رغم تكرارها وتنوعها، مما يدل على عُتوّ عقدي ونفسي متجذّر. وقد وصفه الله بقوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ، فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ (النازعات: 21–23)، وهي آيات تُظهر استعلاءه وتكذيبه المتعمد، ثم لجوءه إلى الحشد الجماهيري لتأكيد زعامته وتثبيت نفوذه.

وفي ذروة المواجهة، لجأ فرعون إلى التهديد المباشر بالعقاب السياسي والسجن، كما في قوله: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: 29)، ما يُظهر أنه لم يكتفِ برفض الرسالة، بل واجهها بأساليب القمع والردع، وهو سلوك يتكرر في شخصيات الطغاة في مختلف العصور.

وقد رأى بعض الباحثين، ومنهم الدكتور أبو العينين، أن هذه النبرة من الاستكبار والمواجهة لا تتوافق مع الملوك المتقدمين في السن أو من بلغوا مرحلة التراجع السياسي، بل تتماشى أكثر مع ملوك جدد أو حكام في ذروة الطموح السياسي والتوسع السلطوي، مما يُرجّح أن فرعون موسى لم يكن رمسيس الثاني في شيخوخته، بل مرنبتاح أو من يليه، ممن سعوا لإثبات هيمنتهم عبر الخطاب الديني والسياسي المشترك (أبو العينين، 1997: ص 161)(161 page 4) .

من جهة أخرى، فإن نهاية فرعون بالغرق في البحر وردت في أكثر من موضع قرآني، وهي نهاية تحمل دلالة عقائدية قوية، إذ قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ... فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (الشعراء: 60–78)، (1)وهو ما يؤكد أن هذه النهاية لم تكن فقط عقوبة جسدية، بل رمز لانهيار المنظومة الاستبدادية بكل أركانها.

ومن أكثر الآيات التي أثارت اهتمام المفسرين والمؤرخين، قوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس: 92)، وهي إشارة قرآنية فريدة، تدل على أن جسد فرعون قد حُفظ بعد غرقه، ليكون عبرة للناس والأجيال القادمة. وقد ذهب بعض الباحثين إلى الربط بين هذه الآية، وما تم العثور عليه من مومياوات فراعنة محفوظة في المتاحف المصرية، باعتبارها قد تكون إشارة مباشرة إلى إحدى هذه المومياوات التي تعود زمنيًا إلى مرنبتاح، وهو ما دفع بعدد من الباحثين، مثل الدكتور موريس بوكاي، إلى القول بأن جسد فرعون المذكور في القرآن تم الحفاظ عليه فعلًا، وأن ذلك يتوافق بدقة مذهلة مع الاكتشافات العلمية الحديثة (بوكاي، 1984: ص 263–265)) .(17 page 263-265)

ويرى بعض الباحثين العرب، ومنهم عبد الهادي وأبو العينين، أن خصائص الخطاب القرآني التي تناولت فرعون موسى، وطريقة التوصيف الدقيق لسلوكه ونهايته، تدعم القول بأن القرآن لم يتحدث عن "فرعون" بوصفه شخصا محدد الاسم فقط، بل بوصفه نموذجا مركّبا للسلطة القاهرة، التي ترفض الحق، وتقاوم التغيير، وتواجه النبوة بالعنف والاستهزاء (عبد الهادي، 2004: ص 95) (أبو العينين، 1997: ص 164). (95 page 16; 164 page 4)

وهذا النموذج القرآني يُقدَّم بطريقة تحافظ على البعد الزمني للحدث، وتُضفي عليه عمقًا رمزيًا يصلح للعبرة، لا لمجرد التأريخ. ولهذا لم يهتم القرآن بتحديد الاسم، بل ركّز على المواقف والسلوك، وأسند الأفعال والصفات بدقة مذهلة إلى فرعون، مما جعله "عنوانًا للطغيان" في الذهنية القرآنية والوعظية.

يرى الباحث أن القرآن الكريم صاغ شخصية فرعون موسى عليه السلام بوصفه نموذجًا كليًّا للسلطة الطاغية، وليس مجرد شخصية تاريخية معزولة. ومن خلال التحليل الدقيق للآيات، يُرجّح الباحث أن فرعون المذكور في القرآن يتوافق زمنيًا وسلوكيًا مع الملك مرنبتاح بن رمسيس الثاني، وهو الأرجح أن يكون المقصود بقصة الخروج والغرق. ويؤكد أن هذا التوصيف القرآني يتميز ببلاغة رمزية ومنهجية تاريخية دقيقة تتفوق على الرواية التوراتية.

خاتمة البحث

مثّلت شخصية فرعون موسى عليه السلام إحدى أكثر الشخصيات إثارةً للجدل في السرد الديني والتاريخي، سواء في نصوص الكتب المقدسة أو في الوثائق الأثرية المصرية، وقد سعى هذا البحث إلى استجلاء أبعاد هذه الشخصية من خلال منهج تاريخي مقارن، يجمع بين الرؤية القرآنية، والقراءات التوراتية، والتحليل الأثري الحديث، للوصول إلى تصور علمي متماسك يجيب عن سؤال جوهري: من هو فرعون موسى، وما مدى دقة تصويره في المصادر المختلفة؟

في هذا السياق، تم استعراض موقع مصر الجغرافي، وأهمية نهر النيل في تشكيل السلطة الدينية والسياسية، وارتباطه العميق بفكرة الألوهية، مما وفّر بيئة خصبة لفهم رمزية فرعون في الوعي المصري القديم، بوصفه الحاكم المطلق وربّ الدولة. وقد كشفت الدراسة أن معجزة تحويل ماء النيل إلى دم في القرآن، لم تكن مجرد معجزة مادية، بل ضربة رمزية موجهة إلى مركز الهيمنة الدينية والاقتصادية في النظام الفرعوني.

كما تم تحليل سياقات الاضطهاد الذي مورس على بني إسرائيل، وأسبابه، والنتائج التي أدت إلى الخروج الجماعي من مصر، وفقًا للسياقين القرآني والتوراتي، مع تتبع دقيق للمعطيات الأثرية، وقراءة النقوش التي أظهرت – كما في "لوحة مرنبتاح" – أول ذكر لكلمة "إسرائيل" في السجل المصري، بما يدعم وقوع حدث الخروج فعليًا، ويمنح السرد القرآني قوة توثيقية نادرة.

وأظهر البحث أن القول بوجود فرعونين – أحدهما للاضطهاد، والآخر للخروج – هو الأقرب للتفسير الزمني والمعرفي للنص القرآني، حيث يصعب منطقيًا وتاريخيًا جمع كل المراحل (النشأة، النبوة، الدعوة، المواجهة، الخروج، الغرق) في عهد حاكم واحد، كما هو شائع في بعض الروايات التوراتية. وقد عُزز هذا الرأي من خلال مقارنة بين خصائص رمسيس الثاني ومرنبتاح، ومن خلال التوقف عند آية حفظ الجسد: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، وما تلاها من دراسات في علم المصريات الحديث.

إن شخصية فرعون موسى – في التصور القرآني – لم تُقدَّم كشخصية مجردة، بل كأنموذج بنيوي للسلطة المطلقة، التي تُقابل الرسالة بالإنكار، والحقيقة بالتكذيب، وتستعمل أدوات الدولة في قمع الدعوة الإلهية. ولهذا لم يُذكر اسمه صراحة، في دلالة تربوية ومعرفية، تؤكد أن الطغيان ليس فردًا بعينه، بل ظاهرة تاريخية متكررة.

وقد بيّن البحث أن القرآن الكريم – بخلاف التوراة – قدم رؤية متكاملة لشخصية فرعون، تُراعي البناء النفسي، والتحليل السياسي، والرمزية العقائدية، والمآل الأخروي، مما يجعل منه مصدرًا مرجعيًا متفوقًا في معالجة هذا الحدث التاريخي.

استنتاجات البحث:

1- أن شخصية فرعون موسى في القرآن الكريم ليست مجرد شخصية تاريخية، بل رمز للطغيان المتجدد في كل زمان ومكان.
2- أن نهر النيل لعب دورًا جوهريًا في تشكيل بنية السلطة الدينية، وقد استُهدِف رمزيًا في أولى الضربات التي نزلت بمصر.
3- أن معجزة الغرق ثم النجاة بالجسد تُعد شاهدًا على دقة التعبير القرآني وتفوقه العلمي والتاريخي.
4- أن التحليل التاريخي المقارن بين القرآن والتوراة والنقوش المصرية يدعم ترجيح أن مرنبتاح هو الأقرب لأن يكون فرعون الخروج.
5- أن تجاهل الاسم الصريح لفرعون في القرآن يحمل بعدًا بلاغيًا وتربويًا عميقًا لا يهدف إلى التأريخ، بل إلى تقويض قداسة الظالمين.

References

1.The Holy Qur'an.

2.The Holy Bible. (1995). *The Torah and the Gospel with the Greek Scriptures* (3rd ed.). Beirut: The Bible Society.

3.The Holy Bible. (2007). *The Torah and the Gospel.* Beirut: The Noble Bible Society.

4.Abu Al-'Aynayn, S. (1997). *Pharaoh of Moses between Religious Texts and Archaeological Facts.* Cairo: Dar Al-Fikr Al-'Arabi.

5.Izzat, A. (2010). *Pharaoh of Moses Was from the People of Moses.* 10th of Ramadan City: Nefertai Studies and Publishing.

6.Abdul Wahhab, A. (1990). *Pharaoh in the Qur'an, the Torah, and History.* Cairo: Dar Al-Ma'arif.

7.Dweikat, M. A. J. (2006). *Ancient Hebrew History: A Critical Study in Light of the Qur'an and Archaeology.* Nablus: Dar Al-Fikr.

8.Ali, A. Y. (1407 A.H.). *Moses.* Beirut: Al-Jil Publishing House.

9.Al-Andalusi, M. ibn Yusuf. (1999). *Al-Bahr Al-Muhit (The Vast Ocean)* (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

10.Al-Sha'rawi, M. M. (1992). *Tafsir Al-Sha'rawi (Al-Sha'rawi's Qur'anic Commentary).* Cairo: Family Library.

11.Herodotus. (1987). *The History of Herodotus* (trans. Abdul-Ilah Al-Mallah). Beirut: Arab Organization for Translation.

12.Izzat, M. (2010). *Ancient Egyptian History in the Light of the Holy Qur'an.* Cairo: Dar Al-Fajr for Publishing and Distribution.

13.Abdul Wahhab, A. (1992). *Prophethood and Prophets in Judaism, Christianity, and Islam* (2nd ed.). Cairo: Wahbah Library.

14.Dweikat, N. A. J. (2006). *The Story of Moses and Pharaoh between the Qur'an and the Torah* (Published Master's Thesis). An-Najah National University, Faculty of Graduate Studies, Nablus.

15.'Atif, S. (1980). *Interpretation of the Vocabulary of Qur'anic Terms.* n.p.: Dar Al-Kutub Al-Misriyyah.

16.Jamal, A. Al-Hadi. (2004). *Who Was Pharaoh of Moses? A Historical and Textual Reading in Light of the Qur'an and Archaeology.* Cairo: Anglo-Egyptian Library.

17.Bucaille, M. (1984). *The Bible, the Qur'an and Science* (trans. Hasan Khalid). Beirut: Al-Maktabah Al-Islamiyyah